السبت 6 شباط 2021
العدد 4265 السنة الخامسة عشرة
Samedi 6 Fevrier 2021 nº 4265 15ème année

20 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

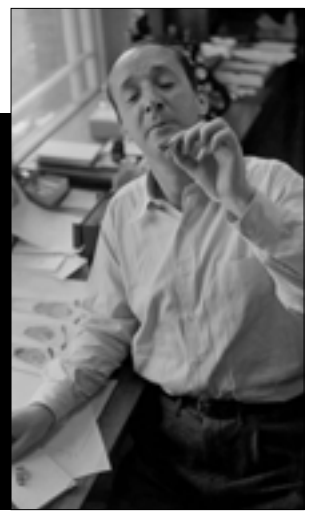

فلاديمير نابوكوف
لعنة «لوليتا»

مخاوف ترافق إعادة الفتح التدريجي للبلاد و«الصحة» ترخّص «اللقاح الروسي»

غداً آخر أيام الإقفال التام [6]

وهْمُ بطاقة الدعم [3 ـ 2]

(هيثم الموسوي)

تقرير

السعودية تترقّب المزيد من قرارات بايدن:
لا وقت للمعارك الجانبيّة

10

مقالة

من التنافس إلى الصدام بين القوى العظمى

12

اليمن

تجدّد التوتر في باب المندب:
«الإصلاح» ماضٍ في محاصرة «الانتقالي»

11

على الغلاف

وهمٌ بطاقة الدعم

تمرّ الايام من دون أيّ خطوة إضافية تعالج أزمة شحّ الدولارات المخصّصة لتمويل استيراد السلع المدعومة. مصرف لبنان سبق أن رمى الكرة إلى الحكومة، محذّراً من عدم قدرته على الاستمرار بدعم السلع الاساسية. الحكومة حائرة في أمرها وعاجزة عن السير بأي قرار واضح وحاسم وترمي بمسؤولياتها صوب المجلس النيابي. والنتيجة، أن مشروع «البطاقة التمويلية» لمئات الالف الاسر الفقيرة ــ والذي يفترض أن يُقرّ بالتوازي مع إلغاء الدعم الذي «يهدّد» مصرف لبنان بأن أمواله تكاد تنفد ــ لا يزال مشروعاً وهمياً. ومن الصعب أن يبصر النور، لا أحد يملك الإجابة عن سؤال من أين سيتم تأمين كلفة البطاقات، وما المعايير المعتمدة لانتقاء العائلات المستفيدة. ولأن الحلول متعثرة، فإن أي خطوة غير مدروسة ستكون نتيجتها قفز الدولار الى ارقام خيالية، وصفيحة البنزين الى مئة الف ليرة، والدواء الى اربعة اضعاف سعره الحالي

رلى إبراهيم

منذ أشهر، يجري الحديث عن نفاد احتياط مصرف لبنان من العملات الأجنبية، ما يستوجب إلغاء الدعم عن السلع الأساسية (الأدوية والمحروقات والخبز... وجزئياً المواد الغذائية). حكومة حسان دياب وجدت الحلّ لهذه الأزمة باقتراح إقرار بطاقة تمويلية، يجري العمل بها بالتزامن مع إلغاء الدعم، على أن توزَّع لعدد من الأسر (وصل هذا العدد أخيراً الى 600 ألف أسرة) لكل منها مليون و300 ألف ليرة شهرياً، تستخدمها العائلات لشراء حاجياتها.

لكن التدقيق يكشف أن اقتراح البطاقة

يشير مصدر حكومي إلى استحالة إقرار بطاقة الدعم والحديث بها هو نوع من المسكنات لتأخير الانفجار الشعبي

الذي وُضع على طاولة البحث مجدداً يوم الثلاثاء الماضي، ليس سوى بيع المزيد من الأوهام للناس، فيما الحقيقة أن المشروع يكاد يكون غير قابل للتنفيذ، وقد انفجر بمعدّيه قبل الوصول الى مسوّدة موحدة للأفكار التي سُجّلت كسيناريو. هذا المشروع يكاد يُدفن في اللجنة الوزارية قبل وصوله الى البرلمان كمشروع قانون لمناقشته. وما حصل فعلياً أن السيناريو المُعدّ من الحكومة لاقى تحفظاً من وزراء الصناعة والزراعة والمال، وبشكل جزئي من وزير الاقتصاد، فأتهى الاجتماع بورقة تتضمن أفكاراً، سيعمد كل وزير إلى تنقيحها على حدة ليُعقد اجتماع آخر، الأسبوع المقبل، تناقش خلاله التنقيحات.

لقطة وسيلتان لتمويل البطاقة: إما الاستدانة او طبع العملة، وفي الحالتين سيزداد التضخم والعجز (صروات بو حيدر)

الأهم من مضمون المشروع هو سبل تغطية مصاريفه المالية، وهي مهمة مناطة بالسلطة التنفيذية. إلا أن حكومة دياب التي تتذرع بتصريف الأعمال للهروب من المسؤولية، عمدت الى صرف النظر عن هذا «التفصيل»، عبر ترك هذه المسألة لمجلس النواب حتى يقررها بنفسه. وهنا، السيناريو معروف مسبقاً. فرئيس مجلس النواب نبيه بري رفض طروحات الحكومة الأربعة المرسلة إليه حول بطاقة الدعم، وطلب إرسال طرح واحد حتى يتم درسه في البرلمان. ومن المرجح أن يعيد مشروع البطاقة ـ إن وصل ـ إلى معدّيه لعدم وضوح كيفية تمويله، ولا سيما أن هذا السيناريو يحتاج الى نحو 9 آلاف مليار ليرة سنوياً حتى يتم تغطيته. وعلى افتراض أنه تم اقتطاع نحو 300 مليون دولار (246 مليون دولار من البنك الدولي و50 مليوناً من الاتحاد الأوروبي) من هذا المبلغ الإجمالي على أساس سعر صرف يوازي 6240 ليرة للدولار، فإن المبلغ المتبقي على الدولة لتغطيته يقارب 7 آلاف مليار و560 مليار ليرة. من سيؤمن الاعتمادات لذلك؟ سبق لحاكم مصرف لبنان رياض سلامة أن أبلغ الحكومة رفضه لتحمل هذه المسؤولية، ويقول خبراء اقتصاديون إن أي طبع لمزيد من العملة من شأنه أن يزيد التضخم الى معدلات مرتفعة جدّاً، ما سينعكس ارتفاعاً في سعر الصرف كما أسعار السلع الغذائية المستوردة وغير المستوردة. وسيفتح بازار التلاعب بالأسعار على مصراعيه.

من جهتها، توضح مصادر حكومية أن البطاقة لن ترى النور، والحديث بها يتم على سبيل إعطاء المزيد من المسكنات للفقراء لمنع الانفجار في عهد هذه الحكومة، الى حين تأليف حكومة جديدة لتتحمل المسؤولية. فحكومة دياب تخلت عن دورها تجاه المواطنين منذ اليوم الأول واستسلمت لقوى الأمر الواقع الذين أحبطوا خطتها للتعافي المالي، ثم جلست تتفرج على الانهيار وتضاعف وطأته بعدم تحركها للجم جشع التجار أو مافيا الصرّافين. واليوم، ترمي تمويل بطاقة «وهمية» على مجلس النواب لعلمها المسبق، بحسب المصدر، بأن اقتطاع هذا المبلغ من قيمة الموازنة العامة المقدّرة بـ 18 ألف مليار ليرة، سيزيد العجز ويدفع الى فرض المزيد من الضرائب والرسوم، رغم أن الموازنة لا تتضمن أي إشارة لضرائب جديدة. وإما سيكون على لبنان الاستدانة، في حين أن هذا المنفذ مغلق بأمر دولي ولن يساهم سوى بترتيب المزيد من الأعباء. ثمة مشكلة أخرى تتعلق بقرض البنك الدولي الذي تبلغ قيمته 264 مليون دولار والذي سيعمد المصرف الى شرائه بقيمة 6240 ليرة للدولار من دون أي تصوّر للجهة التي ستتحمل فارق الخسارة عند تسديد القرض. وبحسب المصدر، يتم التعامل مع القرض «على الطريقة اللبنانية، أي من ناحية أننا سنعالج هذا الوضع عندما نصل إليه بعد 15 عاماً أو أكثر. يفترض الآن تدبير الأحوال كيفما كان». لكن في مطلق الأحوال، «ثمة استحالة لإبصار البطاقة النور لأن مجلس النواب لن يأخذ على عاتقه تمويل اعتمادات للحكومة عبر إفقار الناس». وإذا ما وافق المجلس افتراضاً على تنفيذها، فإن دخول المشروع حيّز التنفيذ بعد الموافقة عليه يتطلب 4 أشهر من دون احتساب وقت صدور المشروع الموحّد من الحكومة لإرساله الى البرلمان والأخذ والرد الذي سيليه!

باختصار، البطاقة التمويلية حتى الساعة لا تتعدى كونها شراء سمك في البحر. فالغاهما منها وفيها، كما تفتقر الى الحدّ الأدنى من الدراسات العلمية، لا الطروحات العشوائية من بعض الوزراء الذين يرمون السيناريو تلو الآخر من دون إيلاء أي اعتبار للوقائع الاقتصادية والنقدية والاجتماعية المزرية. فمنذ استقالة الحكومة، يجتمع هؤلاء قسراً بغياب وزيرين أو أكثر بسبب خلافهم مع رئيس الحكومة منذ طرحهم استقالاتهم قبل التنسيق معه. السرايا باتت بمثابة غرفة انتظار لتأليف حكومة جديدة. المشكلة هنا أن الانتظار ربما سيطول. والبحث عن سبل تمويل داخلي للبطاقة دونه عقبات كثيرة. يجمع الاقتصاديون الذين تحدثت معهم «الأخبار» على أن إقرار بطاقة الدعم بشكلها العشوائي المعتمد حالياً يعني الذهاب نحو فوضى إضافية وتضخم أكبر والمزيد من التدهور في سعر الليرة، بحيث يُتوقع أن يرتفع سعر الدولار الى مستويات قياسية فور الإعلان عن بدء إلغاء الدعم عن البنزين والمازوت والدواء والقمح والطحين، رغم أنه سيكون بشكل تدريجي. عندها سيرتفع سعر صفيحة البنزين الى أربعة أضعاف، كذلك الأمر بالنسبة إلى سعر الدواء، فيما زيادة الدعم وفق سيناريو الحكومة على القمح سيبقي ثمن ربطة الخبز ضمن سقف الـ 3500 ليرة لبنانية، والإبقاء على دعم الفيول كما كان. سيجنّب المواطنين أي ارتفاع في فاتورة الكهرباء. فالبطاقة ليست سوى «قنبلة موقوتة ستقود الى انفجار اجتماعي كبير كونها لن تعوّض إلا 10 أو 15% من قيمة الخسائر التي أصابت القدرة الشرائية لدى الأفراد»، بحسب خبير اقتصادي.

المدير العام لـ «الشؤون»: لا علم لي بالـ 600 ألف أسرة!

عند موافقة البنك الدولي على منح لبنان قرضاً بقيمة 264 مليون دولار لمساعدة الأسر الأكثر فقراً، كان رقم الأسر المستهدفة يتمحور حول 160 ألف أسرة. ارتفع الرقم مع وصول 50 مليون دولار إضافية من الاتحاد الأوروبي سيستفيد منها اللبنانيون واللاجئون على حدّ سواء. لذلك قُدّر العدد النهائي بنحو 240 ألف أسرة. وكان المشروع الرئيسي أن تحصل كل أسرة على 100 دولار شهرياً. لكن قرار الحكومة بدفع قيمة المساعدات بالليرة اللبنانية لرفد مصرف لبنان بالعملة الأجنبية ودعم الاقتصاد على ما أعلن عنه سيخفض قيمة المساعدة الشهرية، ما استدعى تخفيض عدد الأسر المستفيدة من قرض البنك الدولي الى نحو 170 ألف أسرة. ليست تلك المشكلة الرئيسية، إذ خلال اجتماع اللجنة الحكومية، جرى الحديث عن 600 ألف أسرة كرقم نهائي. الجهة المكلفة بإعداد لائحة الأسر التي تنسق مع البنك الدولي والاتحاد الأوروبي، لا علم لها بهذا العدد. إذ يشير المدير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية، عبد الله أحمد، إلى أنه لم يطّلع على أي ورقة بهذا الخصوص وفاجأه رقم الأسر المتداول والمبلغ المقترح في الوقت عينه. ويضيف إن عمله اليوم «بالتعاون مع البنك الدولي يتمحور حول بناء قاعدة بيانات أساسية لنحو 200 ألف أسرة، وكل كلام خارج إطار 200 أو 220 ألف أسرة هو كلام يجب أن يكون مسؤولاً ومبنياً على علم». من هذا المنطلق، تقوم وزارة الشؤون الاجتماعية بتنفيذ زيارات منزلية لكل الأسر التي مأت استمارة بعد فتح الوزارة للمنصة الخاصة بتسجيل الأسر الأكثر فقراً (بلغ عدد الاستمارات حتى الساعة 370 ألفاً)، ثم تجري مقاطعة المعلومات مع الجهات المعنية من وزارة الداخلية الى مصلحة السير الى المالية والضمان، والنقابات في بعض الأحيان لأن المساعدات ليست نقدية حصراً، بل تتضمن أيضاً دعماً للأطفال (بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم العالي)، وتأمين رعاية صحية أولية واستشفاء ودعم اجتماعي يشمل الأطفال والعجزة وذوي الاحتياجات الخاصة. تنفيذ هذا المانحة لا تفرج عنها خوفاً من استخدامها في غير محلها. ولهذا الأمر بالذات يُجري اليوم تنقيح معلومات حول 200 ألف أسرة حتى يفرج عن أموال قرض البنك الدولي». أما اختيار العائلات، فيعتمد على زيارات منزلية للمسجلين على المنصة وتعبئة استمارات ومقاطعة المعلومات مع مختلف الإدارات. ففي السابق، من كان ضمن خانة الفقر المدقع يقبض شهرياً لكل أسرة، صعوبات بعد وقوعه على أسماء متوفين وأسر أوضاعها ميسورة. وتشير مصادر مطلعة إلى أن الدولة ليست بحاجة إلى الاستدانة أو لقرض البنك الدولي إن بنت قاعدة بيانات «نظيفة وشفافة لأن الكثير من الهبات متوفرة، لكن الجهات

تقرير

صندوق النقد و«المعايير الدولية» تصنّف لبنان في خانة «التضخّم المفرط»

ضربة جديدة للمصارف!

بحسب معايير المحاسبة الدولية وصندوق النقد الدولي، في حالة «تضخّم مُفرط». تبنّي المنظمات الدولية رسمياً ذلك، وتوقّعها أن تدوم هذه الحالة لمدّة سنوات. يعني أنّ على كلّ المؤسسات في لبنان التي تعتمد معايير المحاسبة الدولية وضع ميزانيات جديدة للعام 2020 تأخذ في عين الاعتبار انهيار العملة ووجود التضخّم المُفرط. وإلا فلن يكون مُعترفاً بهذه الميزانيات دولياً. ومن بينها المصارف التجارية!

ليا القزي

البيانات المالية للمصارف والشركات المالية والتأمين، وكلّ مؤسسة تلتزم معايير المحاسبة الدولية في لبنان، «لا قيمة لها»! هي «الضربة المحاسبية» الثانية التي تتلقاها الشركات اللبنانية، بعد أن وضعت شركات التدقيق المالي تقارير سنة 2019 للمصارف وبيّنت أنّ جميعها لم تُقدّم أرقاماً كافية للقيام بتحليل دقيق لمستوى السيولة والملاءة والربحية لديها، مع شكوك في قدرتها على الاستمرار («الأخبار»، عدد 9 تشرين الثاني 2020، www.al-akhbar.com/Politics/296199). السبب هذه المرّة، إضافةً لبنان إلى لائحة الدول التي «تجاوزت معدّلات التضخم التراكمي لثلاث سنوات الـ100%»، وباتت تُصنّف اقتصاداتها كـ«تضخّم مُفرط»، ما يُحتّم إعادة صوغ البيانات المالية لسنة 2020 بالاستناد إلى مؤشّر أسعار الاستهلاك (CPI)، وإلّا لا تكون أرقام الربح والخسارة «حقيقية».

مُصطلح «التضخّم المُفرط» اقتصادياً، يعني أن ترتفع الأسعار في بلد ما بأكثر من 50% شهرياً، وتنخفض معها القوّة الشرائية للعملة المحلية، وغالباً ما يكون الاقتصاد يُعاني من مشاكل مالية عدّة «تنفجر» في لحظة ما، فينهار سعر الصرف. يُصرّ رئيس قسم الاقتصاد في الجامعة اللبنانية - الأميركية، غسّان ديبة، على أنّ «الاقتصاد اللبناني في حالة تضخّم مُرتفع وليس مُفرطاً». يشرح أنّ القاعدة الاقتصادية تُحدّد أنّه في حال سُجّل تضخّم 50% شهرياً، «أي أكثر من 1000% سنوياً، يكون الاقتصاد عندها في حالة تضخّم مُفرط. نحن ما زلنا بعيدين عن ذلك». يستعين ديبة بمؤشّر أسعار الاستهلاك، الصادر عن دائرة الإحصاء المركزي، «إذا عُدنا إلى حزيران 2020 كانت النسبة 20%، انخفضت في تموز إلى 11,3%، وفي آب 3,61%، لترتفع في أيلول إلى 5,34%، ثمّ تنخفض في تشرين الأول إلى 3,9%». هذا الانخفاض «التكتيكي» مردّه إلى «تدنّي الطلب وتراجع إنفاق السكّان نتيجة عدم امتلاكهم للمال، وعدم وجود زيادة للأجور، والانهيار في سعر الصرف للبيرة شبه ثابت عند حدّ مُعيّن منذ فترة، ولكنّه أيضاً مؤشّر إلى أنّ الاقتصاد اللبناني لا يمرّ بتضخّم مُفرط».

المشكلة أنّ القواعد الاقتصادية تختلف عن القواعد المحاسبية. فلـ«فريق عمل التدريب الدولي - IPTF»، المُختص بقضايا المحاسبة والتقارير المالية، الذي اجتمع في تشرين الثاني، رأيٌ مُختلف. محاسبياً، تتمّ مُراقبة البلدان التي تجاوزت معدّلات التضخّم فيها الـ100% لثلاث سنوات متتالية، حتى «تُدمغ» بالتضخّم المُفرط، بناءً على المعطيات التي ترد من «مجلس معايير المحاسبة الدولية»، إضافة إلى مؤشرات أخرى، أبرزها تفضيل السكّان التخلّص من العملات الورقية واستثمار أموالهم للحفاظ على قيمتها، أو استبدال العملة المحلية بعملة أجنبية مُستقرة نسبياً.

في الاجتماع الأخير لـ«IPTF»، تمّ إضافة كلّ من لبنان وإيران إلى اللائحة التي تضمّ الأرجنتين، وجنوب السودان، والسودان، وفنزويلا، وزيمبابواي. معيار المحاسبة الدولي الذي على أساسه جرى تصنيف هذه البلدان، هو «IAS 29»، ويُفترض في هذه الحالة أن تُعيد كلّ الشركات والمؤسسات التي تُطبّق المعايير الدولية، تعديل بيانات السنة المالية المُنتهية في 31 كانون الأول 2020، أو ما بعد. ويحتّم على مصرف لبنان، ولجنة الرقابة على المصارف، الطلب من المصارف تعديل التعاميم والطلب من المصارف وضع ميزانيتها مُستخدمة الدولار، لإعداد بيانات مالية تعكس الواقع المالي الحقيقي للمؤسسات.

صندوق النقد الدولي انضمّ إلى «الجوقة»، ناشراً أنّ على هذه البلدان تقديم بيانات مالية تأخذ في عين الاعتبار المعايير «IAS 29»، والمعيار «IAS 21». وفي السياق ذاته، أصدرت شركة التدقيق المالي «PwC» تقريراً تدعو فيه كلّ المؤسسات في لبنان وإيران إلى «تطبيق الـIAS 29 كما لو أنّ الاقتصاد كان دائماً في حالة تضخّم مُفرط». في الحالة اللبنانية تحديداً، ترى الشركة أنّ «معدّل التضخّم كان حتى الـ2019 أقلّ من 10% سنوياً، ولكن منذ بداية الـ2020 ارتفع بشكل كبير، وبحسب المعطيات سيتجاوز التضخّم التراكمي لثلاث سنوات عتبة الـ100%. ومن المتوقع أن يستمر ذلك في السنوات المقبلة بسبب التدهور الاقتصادي وانهيار العملة».

يشرح مسؤول في إحدى شركات التدقيق العالمية أنّ «ميزانية أي شركة في لبنان لم تعد تعكس الواقع بعد الهامش الكبير بين الدولار الأميركي الحقيقي والدولار في المصارف، والانهيار في سعر صرف العملة، لذلك يجب إعادة تقييم الميزانيات لتعكس التضخّم الحاصل في السوق». ماذا إذا لم تلتزم المصارف والمؤسسات المالية وشركات التأمين وغيرها بتطبيق المعيار؟ «ستكون شركات التدقيق مُضطرة إما إلى الامتناع عن إصدار تقارير مالية أو أن تذكر في التقارير أنّ المؤسسة المعنية لم تلتزم بالمعايير. لكن، بصراحة، تأثير

حتّى لو أرادت المؤسسات الالتزام بالمعايير الدولية، فالأرقام غير موجودة

الموضوع على هذه المؤسسات سيكون معنوياً، لأنّ المشاكل التي يمرّ بها الاقتصاد اللبناني وماليته، أصعب وأعقد بكثير من عدم تطبيق معيار محاسبي»، مُشيراً إلى أنّ «هذا المعيار سيؤثّر بشكل خاص على المؤسسات التي تملك أصولاً ثابتة، لأنّ إعادة التقييم لا تشمل العناصر النقدية».

التضخّم مؤشّر اقتصادي أساسي، ويؤثّر بشكل رئيسي على القرارات التي تتخذها المصارف المركزية في إطار السياسات النقدية. وحين تتوقّع شركة «PwC» أنّ الاقتصاد اللبناني سيُعاني من التضخّم المُفرط للسنوات المقبلة، فذلك «يعني أنّ علينا تغيير قواعد المحاسبة، وتوحيد سعر صرف الدولار للتمكّن من وضع ميزانيات دقيقة»، يقول عضو سابق في لجنة الرقابة على المصارف، أكثر المتأثرين بهذا التصنيف سيكون المصارف اللبنانية، خاصة بعد أن طلب منها مصرف لبنان زيادة رساميلها بنسبة 20% يجب أن تُسجّل في ميزانية الـ2020. يُشير المصدر نفسه إلى أنّ «زيادة الـ20% لم يعد لها أهمية، لأنّه بعد تطبيق الـIAS 29 ستتدنّى قيمة الأموال الخاصة (الرساميل) في المصارف، وبالتالي بات من الضروري تعويضها قبل زيادة الـ20% عليها». أيضاً، سمح مصرف لبنان للمصارف بإعادة تخمين العقارات وتقديم عقارات جديدة لزيادتها إلى الأموال الخاصة، في مهلة تنتهي في 31 كانون الأول 2021، «يعني أنّ ميزانيات سنة 2021 ستتأثّر أيضاً، ويجب معرفة ماذا تساوي حقيقةً الأموال الخاصة لدى المصارف قبل تحقيق الزيادة». أحجار الدومينو ستُوقع أيضاً المذكّرة الرقم 15/2020 الموجّهة إلى المصارف من لجنة الرقابة، وتُحدّد نسب الملاءة الواجب اعتمادها، وتطلب من كل مصرف تقديم «استراتيجيته وخطّة عمله وتطوّر وضعيته المالية وربحيته... وتقييم المصرف الذاتي للمؤونات/الخسائر الإضافية التي قد تترتّب». ولكن ماذا لو لم تلتزم المصارف بالـ«IAS 29»؟ بموجب التعميم 140 الصادر عن مصرف لبنان، «يُطلب من المصارف والمؤسسات المالية العاملة في لبنان الالتزام بتطبيق المعايير الدولية للتقارير المالية»، إلا أنّ وجود تعميم لا يعني «إلزام» المصارف به كما تُشير التجارب السابقة. فمصرف لبنان كان المُبادر سابقاً إلى «خرق» تعميمه، حين حدّد للمصارف نسب احتساب الملاءة والمؤونات بما يُخالف معايير المحاسبة العالمية، وذلك حتى لا تنهار نهائياً. ولأنّ الأزمة اللبنانية شديدة التعقيد وغير واضحة، يقول المسؤول في شركة التدقيق العالمية إنّه «نُصحنا وزارة المالية طلب شطب لبنان من لائحة التضخّم المفرط لعام 2020 حتى تتوضّح الأمور، من دون نتيجة. فالمعيار الأهم أن تصدر أرقام موحّدة ودقيقة عن وزارة المالية، تُحدّد سعر الصرف الفعلي ونسبة التضخّم. فحتى لو أرادت المؤسسات الالتزام بالمعايير الدولية، فإن الأرقام غير موجودة».

قد يستمر التضخم المفرط لسنوات بسبب التدهور الاقتصادي وانهيار العملة (هيثم الموسوي)

في الواجهة

من حكومات الطائف إلى حكومات الدوحة: الإرث السيئ

الاشتباك الدائر بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلّف على تفسير المادتين 53 و64 من الدستور، غير مسبوق بدءاً بحكومات ما بعد اتفاق الطائف وصولاً إلى حكومات ما بعد اتفاق الدوحة. ليس ثمة ما يشي بفضيحة في اشتباك مثير للجدل لا أسرار فيه

ما كانت دمشق تعطيه لنفسها في الحكومات، استولى عليه وارثوها (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

ما يجري بين الرئيسَين ميشال عون وسعد الحريري، واستمرار تعذّر اتفاقهما على تأليف الحكومة، مهمّ بمقدار ما هو مقلق. مبعث الأهمية أنهما يتصرفان أو يوحيان بأنهما وحدهما المعنيان بالتأليف بفعل صلاحية التوقيع المقيّدة لكليهما في المادتين 53 و64 من الدستور. بذلك يخرجان على قواعد ثم أعراف اتُّبعت في العقود الثلاثة الأخيرة، ويُرسيان سياقاً جديداً لمن سيخلفهما في ما بعد بتسليمهما بحصر المهمّة بهما. بيد أن الأهمية هذه تظل نظرية ما لم يكرسها تفاهم جدّي وحقيقي

في اشتباك الرئيسين لا أحد يعرف هل تؤلّف الحكومة ومتى، وايهما ينحني أولاً

لتشبثهما سابقة، ولا تعدو - إلى الآن - كونها «تدلّعاً» على الصلاحية الدستورية. أما مصدر القلق، فيكمن في أن لا مرجعية، دستورية أو سياسية، يسلّمان بالاحتكام إليها خلال تواصل اشتباكهما المفتوح وقراءتيهما المتناقضتين للنصوص. لا طرف وسيطاً بينهما، ولا أحد قادراً على إلزامهما. ليس ثمة مَن يعرف هل تؤلّف الحكومة ومتى؟ لكن الأهم أيضاً أيّ من الرئيسين قد ينحني أولاً؟

لا شكّ أنه مدعاة للسخرية، التبصّر في بعض أرقام حكومات ما بعد اتفاق الطائف الذي عُدّ تسوية وطنية أخرجت البلاد من الحرب. لا التسوية استقامت، ولا الأفرقاء اتّعظوا وتغيّروا، ولا الحروب توقفت متّخذة أشكالاً مختلفة تكاد لم تمرّ بها إبان الحرب العسكرية المنظمة، أو الموحية بالانطفاء. منها مذهبية، ومنها أمنية، ومنها أخلاقية، ومنها من داخل السلطة نفسها، ومنها اقتصادية معيشية، ومنها نقدية، وربما تُحمَل التسوية أيضاً حرباً وبائية كالبوم. لكنها أيضاً وضعت في الحكم على امتداد المرحلة الطويلة منها، منذ عام 1990 - باستثناءات نادرة - فاسدين وكاذبين ومتملقين ونافعين وسارقين وقتلة.

إلى اليوم، إذا توقف العدّ، يكون انقضى في عمر عهد الرئيس ميشال عون سنة وخمسة أشهر (ما يوازي 506 أيام) من الشغور الحكومي الناجم عن استقالة حكومة دونما تأليف حكومة تخلفها، والولاية في الربع الأول من ثلثها الثالث. استغرق تأليف الحكومات الأربع - ولم تنته رابعتها بعد - ما بين 45 يوماً و252 يوماً. مع الرئيس السلف ميشال سليمان «التوافقي» الذي لم يجبه خصوماً ولم يُقترَع ضده بمرشح والتقى عليه الموالون والمعارضون، لم تكن الحال أفضل، بل أردأ. أربع حكومات تعاقبت في عهده أهدرت سنة وتسعة أشهر منه (ما يوازي 638 يوماً التي هي أقل بقليل من ثلث الولاية) في شغور ما قبل تأليفها، ترجح ما بين 44 يوماً و320 يوماً. أما العهدان الأولان في ظل اتفاق الطائف، الأطول من العهدين اللذين خلفاهما بسبب تمديد ولاية الرئيس، فتثير أرقامهما الشفقة على أرقام السنوات الأخيرة: مجموع الشغور المرافق للحكومات الخمس لعهد الرئيس الياس هراوي (منذ حكومة الرئيس عمر كرامي عام 1990 بعد إدماج الإصلاحات في الدستور) بلغ 34 يوماً فقط ما بين ثلاثة أيام و14 يوماً، بينما مجموع الشغور المرافق للحكومات الست لعهد الرئيس إميل لحود بلغ 36 يوماً فقط ما بين يومين وخمسة أيام، باستثناء سادسة الحكومات هذه برئاسة الرئيس فؤاد السنيورة التي تألفت بعد خروج سوريا من لبنان عام 2005 فتطلّب 20 يوماً.

يسهل تفسير أرقام ولايتي هراوي ولحود، والمدد الدنيا لتأليف حكوماتهما في الحقبة السورية صاحبة اليد الطولى في تحديد حجمها، وتوزيع الحصص والحقائب ما بين الحلفاء تبعاً لأوزانهم، وتحديد النصاب الموصوف. لم يُعطِ أيّ من الرؤساء الثلاثة - ولكل منهم حصته - نصاب الأكثرية المطلقة، ولا نصاب الثلثين، ولا حتماً الثلث +1 الذي لم يكن يخطر في بال أحد ولم يُعثر عليه حتى. حُسبَ وزراء الرؤساء على أنهم - كوزراء الأحزاب الحليفة - جزء لا يتجزأ من نصاب الثلثين الذي تحكّمت به دمشق ووضعته بين أيديها. لم يكن لأي فريق أن يملك تعطيل جلسة لمجلس الوزراء بلا معرفة دمشق. بل لعل أطرف ما صار يُروى عن الحقبة تلك، في وقت متأخر بعد خروج سوريا من لبنان، أن عدداً وافراً من الوزراء الحلفاء لم يكونوا يتردّدون في تشغيل هواتفهم الخلوية إبان انعقاد الجلسة، كي يصغي إلى مداولاتها فريق مختص لدى اللواء غازي كنعان. جزاء ذلك كان من الطبيعي أن لا يستغرق تأليف الحكومات سوى أيام قليلة، يصير إلى الاتفاق على معظمها قبل الوصول إلى استقالة الحكومة التي سبقتها. فلم تنشأ أزمة دستورية على تفسير المادتين 53 و64 المعنيتين بتأليف الحكومة، وكانتا تُطبّقان شكلياً دونما أي جدال فيهما، أو تناحر على نطاق صلاحية أي من رئيس الجمهورية والرئيس المكلف (باستثناء ما حدث في استحقاق 1998 بين لحود والرئيس رفيق الحريري حيال المادة 53 أضفى - بصرف نظر سوري - إلى إقصاء الثاني).

تأليف حكومات الحقبة السورية واجهته لبنانية، لكن سلّم الصعود عليه يبدأ بغازي كنعان الذي يحمل الأسماء والحصص. عندما تتعدد التباينات والأطماع يصعد التأليف إلى عبد الحليم خدام لتذليلها، ثم منه عندما يصعب أيضاً إلى حكمت الشهابي الذي يفرض في نهاية المطاف الخيارات ويلزمها. عندما يصل التأليف إلى الرئيس حافظ الأسد يكون الأمر حُسم تماماً كي يباركه ليس إلا. قلّما كانت تجدي الشكوى والتذمر عنده. عندما أراد الحريري الأب، لأولى حكوماته عام 1992، صلاحيات اشتراعية واخفق في الحصول عليها في بيروت ثم دمشق، لم يشفع له في الوصول إليها مقابلته الأسد عشية صدور مراسيمها. كان قد شاع عن المرحلة تلك «دوائف» لسلّم الثلاثي السوري تُحسَب في حصص الرؤساء والكتل. على مرّ عهدَي هراوي ولحود، لم يُسمع عن حقائب سيادية أربع مع أن هذه انتظمت وقتذاك منذ حكومة كرامي عام 1990 (بعدما كانت الدفاع حصة كاثوليكية للوزير البير منصور في حكومة الرئيس سليم الحص عام 1989). لم يُسمع عن تمييز حقائب مدرارة عن حقائب ثانوية، إذ يكفي التوزير باعتباره تعبيراً عن رضى السوريين عن الموزّر أيّاً علا كعبه. لم يُسمع عن تناحر على حجم الحكومات بعدما فرضت دمشق حكومة الثلاثين منذ عام 1990، ورضيت بعد ذلك باستثناءين فقط (حكومة الرئيس رشيد الصلح عام 1992 من 24 وزيراً وحكومة الحص عام 1998 من 16 وزيراً).

كل ما لم يكن يحدث قبل اتفاق الدوحة عام 2008، أصبح في صلب أعرافه مذاك ولا يزال مستمراً.

تقرير

الانفلات الأمني: تحدّيات التأليف ورعاية واشنطن

لم تتّضح بعد صورة توجّه واشنطن بشأن الاستقرار في لبنان بعد إهمال إدارة الرئيس دونالد ترامب له. لكن الانفلات الامني بين احداث طرابلس واغتيال الناشط السياسي لقمان سليم، سيضعها أمام استحقاق اتخاذ خيارها. ومعها الرئيس المكلف سعد الحريري

هيام القصيفي

مع دخول الإدارة الاميركية الجديدة بقيادة الرئيس جو بايدن مرحلة استكشاف الملفات الكثيرة الموضوعة على الطاولة من اسيا إلى أفريقيا وروسيا وأوروبا وأميركا اللاتينية، وضعت معظم مراكز الدراسات الأساسية روزنامة عملية لبدء تعامل الإدارة تراتبياً مع القضايا الأساسية والمهمة سياسياً وعسكرياً، مع الأخذ في الاعتبار أيضاً ملف كورونا. تحتل منطقة الشرق الأوسط، مكانة أساسية في هذه الأولويات، لا سيما أن أمام إدارة بايدن ملف إيران النووي، الذي تتقاطع فيه مع بريطانيا والاتحاد الأوروبي، ومعه الساحات الشرق أوسطية التي تؤدي إيران فيها دوراً محورياً. ما يعني لبنان، أنه لم يكن الوقت قد حان بعد ليصبح رقماً أول بين دول المنطقة التي يُفترض أن تقاربها واشنطن بالفاعلية نفسها التي كان عليها في سنوات حساسة ليست بعيدة، حتى بدا التفلت الأمني. فالسؤال المركزي الذي خلص إليه متابعون مع دوائر أميركية فاعلة، يتعلّق بما إذا كانت الإدارة الجديدة معنيّة باستقرار لبنان الأمني والعسكري، كما كانت الحال مع إدارة الرئيس باراك أوباما، بعد أربع سنوات من «التخلي» الأميركي عن «رعاية» هذا الاستقرار. ففي ولاية الرئيس دونالد ترامب، كانت مقاربة السياسة الأميركية تقضي بعدم مراعاة الاستقرار كأولوية. وقد أبقت تلك الإدارة على الحدّ الأدنى من التعامل الرسمي معه، لا سيما أن عملها تزامن مع بدء ولاية الرئيس ميشال عون. وفي موازاة تشديد حزمة العقوبات تدريجاً على حزب الله وعلى شخصيات لبنانية، أخذت في الاعتبار إبقاء المصالح قائمة مع المؤسسات الأمنية والعسكرية. لم تهتم واشنطن بموضوع الحكومات المتعاقبة ولا بالانتخابات بالمعنى الذي كان سائداً في المرحلة التي تلت عام 2005، حتى أن اهتمامها بتشكيل الحكومة لم يكن تفصيلياً يتعلّق بقيامها أو الحصص فيها. بل إن مفتاح علاقتها الأساسي كان موقفها من حزب الله وحده، ما دون ذلك متروك للبنانيين. مع الإدارة الجديدة، من المبكر الحكم على كيفية بناء استراتيجيتها تجاه استقرار لبنان، وعلى أي قاعدة سيتم التعامل معه كأولوية وحاجة أساسية بمعزل عن ملفات المنطقة، أم أنه سيُضاف إلى الملفات التي توضع على طاولة المفاوضات، الأمر الذي يمكن أن يستغرق وقتاً لا يملك لبنان ترف تحمّله.

إلّا أن ما جرى في الأسبوعين الأخيرين، حمل رسائل أمنية إقليمية ومحلية، من شأنه أن يسلّط الضوء عليه أميركياً خصوصاً في ضوء النقاش الأميركي - الفرنسي حيال لبنان، لإيجاد حال توازن بين الحاجة إلى لبنان مستقراً أو التخلّي عنه. فالمؤشرات الأمنية منذ انفجار أحداث طرابلس واغتيال الكاتب والسياسي لقمان سليم، وصولاً إلى رسائل إسرائيل وحزب الله الجوية، بدأت تضع لبنان تحت المجهر، وهو ما ظهر جلياً في الإعلام الغربي والعربي، وردود الفعل المنددة باغتيال سليم. وفيما انصبّ اهتمام العالم العربي والغربي بعد انفجار المرفأ، على الشقّ الإنساني بالدرجة الأولى وتأمين المساعدات وإغاثة الجرحى، فإن عملية الاغتيال، مع ما شهدته من ردود فعل، لجهة الاتهامات الموجهة إلى حزب الله، وقبلها أحداث طرابلس المرجّحة للتفاقم والاستمرار، في ضوء تداخل عوامل إقليمية ومحلّية فيها، والإضاءة على اكتشاف خلايا داعش مجدّداً، سيضع استقرار لبنان على المحك. فأيّ انفجار أمني على أكثر من مستوى، مترافقاً مع انهيار اقتصادي وصحّي غير مسبوقين، من شأنه أن يترك تداعيات مباشرة على التركيبة الداخلية. وهنا الخطورة التي قد تدفع دولاً معنيّة إلى التحرك مجدّداً. لذا بدأ الكلام عن الاحتمالات السياسية التي قد تنشأ عن المعطيات الجديدة كمستقبل تأليف الحكومة، وانهيار منظومة الاستقرار من دون رعاية دولية.

(هيثم الموسوي)

التنازل المطلوب من الحريري لحماية الاستقرار سيكون مطلوباً أيضاً من العهد وحزب الله

بين أحداث طرابلس وعملية الاغتيال كان موقف تيار المستقبل دقيقاً. في الأولى، حاول الإمساك بالشارع الذي يتفلّت من بين يديه بعدما اعتبر أن بعض ما جرى رسالة للّي ذراع الرئيس سعد الحريري في عملية التشكيل. كذلك كان «المستقبل» أول المسارعين إلى استنكار عملية الاغتيال. بين الحدثين يمكن انتظار موقف الحريري السياسي ومستقبل تكليفه، في ظلّ رهان عارفيه على أنه مهما بلغ حجم الاستنكار فإن الأزمات الأمنية والسياسية تقف عند حدود التكليف، أي أنه لن يفرّط بتكليفه وبتأليف حكومة مع حزب الله. هكذا كان واضحاً بعد صدور قرار المحكمة الدولية، وهكذا سيبقى واضحاً في خياره السياسي. علماً أن مستوى الرهان يتعلّق بأن حجم التحدّيات الأمنية قد يعطي مبرراً للجميع للعودة إلى الحوار تحت سقف تشكيل حكومة لمنع مزيد من التفلّت. إلا أن قرار السير بالحكومة، لن يكون معزولاً عن ضغوط داخلية لدفعه إلى الاعتذار، كما عن إحاطة أميركية فرنسية بوضعية الحكومة. وسقف هذه الإحاطة مؤشر لما تُقبل عليه إدارة بايدن في وضع نقاط توافق مع باريس بترتيب موقت على شكل حكومة بالحدّ الأدنى من التفاهمات المرحلية تساهم في التهدئة، أو الاعتماد مجدّداً على نهج ترامب تجاه لبنان. لكن ليس الحريري وحده الذي سيُضطر إلى تقديم تنازلات من أجل حماية الاستقرار. فما هو مطلوب منه سيكون أيضاً مطلوباً من العهد ومن حزب الله، والاثنان معنيان كلّ على طريقته بفتح ثغرة في الجدار المقفل، وإلا سيكون البلد أمام كباش أمني وانهيار منظومة الاستقرار تدريجاً.

المشهد السياسي

موفد رئاسي فرنسي إلى بيروت؟

يُخيّل لمن يُراقب الحراك السياسي أنّ الحكومة المُرتقب تأليفها، هي حكومة الدولة الفرنسية، لا الدولة اللبنانية. واللافت للنظر أن يكون المسؤولون في لبنان قد سلّموا أمرهم نهائياً لإدارة الرئيس إيمانويل ماكرون حتّى تجد لهم حلاً لهذه المعضلة. كلّ الوساطات، والمبادرات، والمساعي التي حاولت جهات لبنانية إطلاقها، أحبطت بنار الخلافات بين الرئيس ميشال عون والرئيس المُكلّف سعد الحريري. «داخلياً، الأمور مُقفلة. بات الحراك بالكامل خارجياً»، تقول أوساط رئاسة الجمهورية. وقد استفادت فرنسا من هذا الفراغ حتى تُمثّل سطوتها على القرار السياسي، ولا سيّما بعدما تنفّست الصعداء مع انتهاء ولاية الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، وانتخاب جو بايدن خلفاً له. في كلّ تواصل بين واشنطن وباريس، تُصدر الأخيرة بياناً تُسلّط فيه الضوء على الوضع في لبنان وتُفصل بينه وبين الملفّ الإيراني، على العكس من الولايات المتحدة الأميركية التي تنظر إلى لبنان كجزء من الصراع مع إيران وحزب الله. آخر الخطوات الفرنسية، هي بعثها «برسائل غير رسمية» إلى رئاسة الجمهورية، تكشف فيها عن أنّ ماكرون سيُرسل مبعوثاً رئاسياً إلى بيروت «من دون تحديد برنامج الزيارة وعناوينها، وتوقيتها»، بحسب مصادر بعبدا. كما تواصل مسؤولون فرنسيون مع رئيس مجلس النواب نبيه برّي، لاستطلاعه حول آخر التطورات الحكومية. يُحاول الفرنسيون عدم إخماد وتيرة تحرّكهم، بل على العكس يستعجلون تأليف الحكومة، حتى يتمكّن ماكرون من العودة لزيارة بيروت.

قاسم ينفي ان يكون «الثلث الضامن قد طُرح مع أيّ جهة»

في الإطار نفسه، قال نائب الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم، إنّ الحزب لم يكن عقبة أمام تأليف الحكومة، مُعتبراً أنّه «إذا اتّفق الرئيسان ميشال عون وسعد الحريري تُنجز الحكومة». ونفى أن يكون «الثلث الضامن قد طُرح مع أي جهة»، لذلك يجب «تدوير الزوايا ومحاولة التفاهم لمعالجة المشاكل العالقة... حزب الله ليس في موقع من يضرب على الطاولة أو يفرض شيئاً على حلفائه لأنّه غير قادر وغير مُقتنع بذلك». في حديثه إلى إذاعة النور، أمس، وصف قاسم من يربطون عرقلة تأليف الحكومة بالاتفاق النووي الإيراني والمفاوضات بين الولايات المتحدة الأميركية وإيران بـ«الجوقة الكاذبة»، هدفها تشويه سمعة حزب الله وإزاحة المسؤولية عن تقصيرها. لا إيران ولا غيرها يتدخّل مع حزب الله بموضوع الحكومة». وفي هذا الخصوص، توقّع قاسم أن «تكون الأمور أهدأ مع إدارة (الرئيس الأميركي) جو بايدن، مع استبعاد إيجاد حلول سريعة للقضايا المُعلّقة».

أما بالنسبة إلى المبادرة الفرنسية، فأشار قاسم إلى «إشارات لتفعيلها من جديد، من دون أن تتّضح معالمها»، داعياً الفرنسيين إلى التصرّف «بطريقة توفيقية وليست منحازة»، وكشف أنّ الاتّصالات بين حزب الله والفرنسيين «لم تنقطع يوماً».

(الأخبار)

تقرير

اغتيال سليم: عين التحقيق على كاميرات المراقبة

تستمر التحقيقات الأمنية في اغتيال الناشط لقمان سليم، من دون أن تكشف بعد أيّ تفاصيل عن الجريمة. فرع المعلومات هو الجهة التي تتولّى التحقيقات، وقد بدأ تحقيقاته، مركزاً على تسجيلات كاميرات المراقبة في المنطقة التي اختُطِف منها سليم، وصولاً إلى المكان الذي وُجِدت فيه جثته. وقد حصل المحقّقون على كلّ أشرطة تسجيل الكاميرات التي طلبوها في المنطقة. وكان سليم قد وُجِد مقتولاً في سيارته إلى جانب طريق فرعية محاذية للمسلك الشرقي لأوتوستراد صور الزهراني، قرب بلدة العدوسية، بعدما كان يوم الأربعاء في زيارة لأصدقاء له في محلّة نيحا قرب بلدة صريفا الجنوبية (قضاء صور). ورغم الكشف على الجثة يوم الخميس، وصدور تقرير أولي يُشير إلى أنّ سليم أصيب بخمس رصاصات، ثلاث في الرأس وواحدة في الصدر وواحدة في الظهر، إلا أنّ عائلته أعلنت أنّها لن تقبل بالتقرير الشرعي، وتُريد تعيين طبيب شرعي يُحدّد ما إذا كان سليم قد تعرّض للتعذيب قبل مقتله. يُشار إلى أنّ الجثة نُقلت أمس من صيدا إلى المركز الطبي التابع للجامعة الأميركية في بيروت.

على صعيد المواقف الدولية المُنددة بعملية الاغتيال، أصدرت بعثة الاتحاد الأوروبي والبعثات الدبلوماسية للدول الأعضاء في الاتحاد لدى بيروت، بياناً مُشتركاً طالبوا فيه بـ«التحقيق الفوري بعملية الاغتيال وتقديم المرتكبين إلى العدالة».

من جهته، أدان وزير الخارجية الأميركي، أنطوني بلينكن، الخميس، عملية الاغتيال، مُطالباً «بتقديم الجناة إلى العدالة بشكل عاجل». وأعلن في بيان «إدانة الولايات المتحدة الاغتيال البشع للمقدام سليم أحد النشطاء اللبنانيين البارزين. ونحن نضمّ صوتنا إلى دعوة المجتمع الدولي لتقديم القتلة إلى العدالة في أسرع وقت ممكن».

(الأخبار)

تحقيق

مخاوف ترافق إعادة الفتح التدريجي للبلاد و«الصحة» ترخّص «اللقاح الروسي»

غداً آخر أيام الإقفال

الجامعة اللبنانية تستعدّ لتلقيح أهلها

أعلن المكتب الإعلامي في الجامعة اللبنانية، أمس، تشكيل لجنة خاصة لوضع خطة استراتيجية وعملية لتوفير اللقاح الخاص بفيروس كورونا لأهل الجامعة وموظفين وطلاباً بسرعة «لإيجاد مناعة جماعية لديهم تساعد على العودة السريعة الى العمل الجامعي بأشكاله كافة».
لافتاً إلى أن المبلغ الذي سيدفع مقابل اللقاحات «هو ناتج من الوفر الحاصل من مداخيل فحوصات الكشف عن المصابين بوباء كورونا التي يقوم بها مختبر البيولوجيا الجزئية في كلية العلوم ومختبر ميكروبيولوجيا الصحة والبيئة في المعهد العالي للدكتوراه في العلوم والتكنولوجيا عبر اتفاقيتين موقّعتين مع وزارة الصحة العامة ومع مديرية الطيران المدني لإجراء فحوصات للقادمين عبر المعابر البرية والمطار».
(الأخبار)

تزامناً مع تسجيل 98 وفاة جرّاء فيروس كورونا، تقرّر، امس، إعادة الفتح التدريجي للبلاد بعد إقفال تام قال صنّاع القرار إنه «الأكثر حزماً» منذ بداية انتشار الوباء الذي دام نحو ثلاثة أسابيع.
وفيما كان مُقرّراً أن يكون الاثنين هو آخر أيام الإقفال، أعلن رئيس حكومة تصريف الأعمال حسان دياب أن «نهاية» الإغلاق ستكون غداً الأحد، شرط أن لا يكون يوم الاثنين «يوماً عادياً».
وكما كان متوقعاً، فإن إعادة الفتح التدريجي ستتم عبر أربع مراحل على مدى الأسبوعين المقبلين، المرحلة الأولى تشمل إعادة فتح المصارف بقدرة استيعابية 20% ومحال السوبر ماركت، وأسواق الخضر ومصانع الأعلاف وغيرها. فيما المرحلة الثانية ستشمل صالونات التزيين والحلاقة والمطاعم والمقاهي مع قدرة استيعابية 30% مع التشديد على منع تقديم النراجيل ومراكز التسوق ومحال تصليح السيارات (..). أما المرحلة الثالثة فتضم الحضانات لما دون الثلاث سنوات والكازينو والصالات والنوادي الرياضية وأماكن العبادة، على أن يتم رفع القدرة الاستيعابية للمصارف لغاية 50%. وقد تم تأجيل إعادة فتح المدارس والثانويات ومؤسسات التعليم المهني والنوادي الليلية والمسارح والسينما والشواطئ إلى المرحلة الرابعة.
هذا القرار جاء بالرغم من إصرار عدد من الأطباء والعاملين في القطاع الصحي والمؤسسات الاستشفائية على تمديد الإقفال لغاية الخامس عشر من الجاري، تاريخ وصول الدفعة الأولى من لقاح «فايزر» الأميركي، بسبب مؤشرات الواقع الوبائي الخطيرة التي لا تزال تنذر بواقع حرج؛ أبرزها مؤشر نسبة إيجابية الفحوصات المخبرية التي بلغت أمس الـ 20%، مع إعلان وزارة الصحة العامة تسجيل 3071 إصابة (13 منها وافدة) من أصل 15351 فحصاً مخبرياً، فيما ارتفعت أعداد الحالات الحرجة إلى 920 حالة وهي

> اللجنة العلميّة في وزارة الصحّة تدرس طلبات لاستقدام لقاحات إضافية: من بينها اللقاح الصيني

معدلات تفوق تلك المُسجلة في كندا مثلاً التي تحتل المرتبة 22 عالمياً والتي تسبق لبنان بـ 20 مرتبة.
هذه الوقائع، من شأنها أن تُعزّز المخاوف من تداعيات إعادة الفتح التدريجي، وخصوصاً إذا ما رافق تنفيذ الخطط الثلاث لمرحلة ما بعد الإقفال التي أعلنت عنها الحكومة أمس، بـ«الأداء» نفسه المنتهج منذ بداية الأزمة والذي يتّسم بطابع عشوائي غير متكامل. ما يعني أن الرهان سيكون، كما العادة، على مدى التزام المقيمين بإجراءات التباعد الاجتماعي والتدابير الوقائية. لكنّ هذا الرهان سيكون هذه المرة باهظاً في ظلّ هذه المؤشرات الحساسة.
وكان دياب قد قال أمس إن ما استطعنا فعله في هذا الإقفال هو «وقف الانهيار ولجم المؤشرات السلبية»، لافتاً إلى أنه خلال الأيام المُقبلة «يُفترض أن نبدأ برؤية تراجع في تلك المؤشرات، وخصوصاً أن الإقفال العام نجح في تخفيض معدّل العدوى من 2,7 إلى واحد، وهذا مؤشر إيجابي يبنى عليه».
وأشار إلى ثلاث خطط سيتم اعتمادها في مواجهة الوباء للمرحلة المُقبلة بعد فتح البلد تدريجياً، أولاها خطة ما بعد مرحلة الإغلاق التي تتضمن ثلاثة برامج: تكثيف فحوصات الـ pcr، برنامج التتبع لمحاصرة الوباء، وبرنامج زيادة القدرة الاستيعابية للمُستشفيات. والثانية خطة الطوارئ الصحية التي تتضمن تأمين أجهزة التنفس الاصطناعي الى المنازل بالتعاون بين الصليب الأحمر اللبناني والبلديات. أما الخطة الثالثة فهي خطة التلقيح الوطنية التي وُضعتها وزارة الصحة.
وفي سياق التحضيرات لمرحلة اللقاحات المقبلة، وافقت اللجنة العلمية الفنية التي شكلها وزير الصحة العامة حمد حسن للبحث في تسجيل لقاحات مقدمة من القطاع الخاص، أمس، على السماح بإصدار إذن طارئ للقاح "سبوتنيك" الروسي، على أن يتم استيراده حصراً من قبل مستودع أدوية مجاز. وبموجب منح إذن الاستعمال الطارئ للقاح سبوتنيك، بات تسويقه متاحاً وفق الشروط المرعية الإجراء. وسيتم إبرام اتفاقية مع الشركات المستوردة للقاح الروسي لضمان توثيق المواطنين الذين تلقّوا اللقاح وضمان الالتزام بالمعايير والضوابط المحددة، من قبل اللجنة الوطنية، على أن تستكمل اللجنة في اجتماعات لاحقة درس طلبات أخرى لاستقدام لقاحات إضافية؛ من بينها اللقاح الصيني لحين استكمال الملف الأسبوع المقبل.
(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

تقرير

هجمة على التسوّق الإلكتروني

اطلب «الماركات» ولو من «أمازون»

رضا صوايا

تاقلم أغلب اللبنانيين مع نمط الحياة الجديد الذي فُرض عليهم. قلّلوا من الوجبات الغذائية، حدّوا من تنقلاتهم، استغنوا عن كماليات، استبدلوا منتجات عالميّة بأخرى مصنّعة محلياً... إلّا أن هذه التغيرات السلوكية لم تطل كل الشرائح، فبقي كثيرون أوفياء لعاداتهم الاستهلاكية السابقة للأزمة، ووجد هؤلاء ضالتهم في التسوق الإلكتروني. تسوّق فُرض، أيضاً، على كثيرين ممن اضطروا للجوء إلى هذه الخدمات لتامين بعض حاجاتهم الحيوية التي فُقدت من السوق.
وزاد، أخيراً، على مواقع التواصل الاجتماعي، عدد الشركات التي تعلن تقديم خدمات الوساطة بين مواقع تسوّق عالميّة، كـ «أمازون» وeBay، وبين المستهلكين. ورغم أن هذه الخدمات ليست جديدة، إلا أن الإقبال زاد عليها بعد تفاقم الأزمة الاقتصاديّة، واستقطبت بعض من لم يسبق أن اختبر تجربة التسوق الإلكتروني سابقاً.
تحل هذه الشركات، بحسب عاملين في المجال، ثلاث مشكلات أساسية يعاني منها المستهلكون في لبنان والشرق الأوسط، وهي: أولاً، مشكلة الدفع. إذ أن عدداً كبيراً من مواقع التسوّق العالميّة، خصوصاً الأميركية والأوروبية، لا تقبل الدفع بواسطة بطاقات ائتمان في لبنان (منذ ما قبل الأزمة). ثانياً، مشكلة الشحن إذ أن أغلب هذه المواقع لا يشحن البضائع إلى لبنان. وثالثاً مشكلة الجمرك وعناء تخليص المعاملات والتأكد مما إذا كانت البضاعة المطلوبة يُسمح بإدخالها إلى البلد...
طريقة عمل هذه الشركات سهلة. بحسب مسؤول في شركة «إيف كونسيرج» (Eve Concierge) العاملة في هذا المجال، «يكفي أن يرسل الزبون إلينا، عبر تطبيق واتساب، رابط السلعة التي يرغب في شرائها. فوراً، نرسل إليه فاتورة أولية بكلفة الطلبية بعد احتساب الشحن والجمرك والضريبة على القيمة المضافة. تكون الكلفة أقل في حال التسديد نقداً قبل الاستلام، ويمكن التسديد بعد تسلّم البضاعة، ولكن بكلفة أعلى. وفي حال الطلبيات الكبيرة نتقاضى عربوناً (deposit) يساوي بين 20% و30% من السعر». وتؤمّن الشركة السلع «من أيّ موقع في العالم ما عدا المواقع الصينيّة لأنه في أحيان كثيرة تحصل مشاكل مع

> 50 في المئة من طلبيات التسوّق الإلكتروني تُدفع بالدولار

الشحنات القادمة من الصين».
مسؤولو شركتَي Eve Concierge وiShip.me يؤكدون أن «الطلب كبير جداً على المتممات الغذائية والفيتامينات. ورغم أن سعر بعض المتممات الغذائية قد يكون أغلى من سعرها في السوق اللبنانية، إلّا أن الإقبال عليها كبير لأنها مفقودة من السوق. كما زاد الطلب على الثياب والأحذية خصوصاً من الميسورين بعدما خرج كثير من العلامات التجاريّة العالميّة من السوق اللبنانية». ورغم أن الشركتين تقبلان الدفع بالليرة اللبنانية وفق سعر صرف السوق، إلا أن اللافت أن «50% من الطلبيات تُدفع بالدولار».
بحسب مصادر Eve Concierge «تراجع متوسّط قيمة الطلبيات بعد استفحال الأزمة الاقتصاديّة من 240 دولاراً إلى حوالى 150 دولاراً للطلبيّة الواحدة، وانخفض حجم الشحنات من طن ونصف طن شهرياً قبل الأزمة إلى نصف طن حالياً». علماً أن كلفة شحن الكيلوغرام الواحد، وفقاً للشركة، يبلغ 19 دولاراً. ما يعني أن كلفة الشحن فقط، من دون احتساب سعر السلعة الأساسي، تصل حالياً إلى 9,5 مليون دولار. ومع الأخذ في الاعتبار الشحنات التي تتولاها شركات أخرى، إضافة إلى أسعار السلع، يمكن تكوين صورة عن كمية الدولارات التي تخرج شهرياً من لبنان لتمويل عمليات تسوق يمكن الاستغناء عن كثير منها في الظروف الراهنة.

(هروان بو حيدر)

رد

نقاش حسين منصور حول اللقاحات: «فايزر» الأثبت علمياً وأوراق البحث الصينية لم تكتمل

محمد جنبلاط *

النص الذي كتبه الدكتور حسين منصور ونشرته «الأخبار» (في عددها الصادر يوم الأربعاء 3 شباط 2021) تحت عنوان «عن لقاحات كورونا: فوضى العلم وتخبط السياسات الصحية»، تناول العديد من المغالطات والمعلومات الخاطئة علمياً، بحيث يشعر المطّلع على الحقائق العلمية أن من واجبه تصحيح هذه المغالطات لكي لا تنتشر بين العامة على أنها دلائل تغذّي شكوكهم التي قد تكون مبرّرة أحياناً.
بدايةً، تحدث الكاتب عن وجود اختلاف في وجهات النظر داخل الوسط العلمي، متحدثاً عن تناقض في الآراء بين الخبراء حول لقاح فايزر-بيونتيك، وهذا غير صحيح، بحكم أن الوسط العلمي الحقيقي، يُجمع على أن اللقاح الأميركي - الألماني هو أفضل اللقاحات المتوفرة حالياً في السوق من حيث الفعالية والأمان، وذلك بحكم اعتبارات كثيرة، لعلّ أبرزها فعالية اللقاح التي بلغت 95%، وهي نسبة الفعالية الأعلى التي لم يتمكّن من تحقيقها أي لقاح آخر (المرجع 1 و2). ويبرز أيضاً، تفرّد لقاح فايزر-بيونتيك (لحد اللحظة) بإذن الاستخدام الطارئ من منظمة الصحة العالمية كعامل تفوّق آخر على غيره من اللقاحات (3). ثمّ يكمل الكاتب ليتحدّث عن تخبّط في سياسات التلقيح في الدول العظمى، وهو كلام بعيد عن الواقع، إذ تشير جميع التقارير الواردة من الدول التي بدأت بالفعل عملية تلقيح مواطنيها إلى أن المشاكل التي تواجهها الحكومات تنحصر بسياسات التوزيع وقدرات الدولة اللوجستية. أما الحديث عن خلافات علمية ونقاشات حقيقية تتعلق بنوع اللقاح وفعاليته ووجود «تخوّف» من لقاح فايزر-بيونتيك، فهو ما لم نسمع عنه لحد الآن داخل أطر السلطات الصحية والعلمية المسؤولة في تلك الدول (4).
يحاول الكاتب إثارة الشبهات حول اللقاح الأميركي-الألماني، من خلال التلميح إلى أن بعض شركات الدواء التي أخذت على عاتقها صناعة اللقاح - قاصداً فايزر - متورّطة في تمويل مجلات علمية عديدة بهدف تسويق منتجاتها. طبعاً، يسقط كلام الكاتب هنا عندما نتحدّث عن وجود قوانين وتشريعات قانونية وأخلاقية في عالم البحث الطبي تقيّد قدرة الشركات الكبرى على التأثير على المجلات العلمية بأموالها، لا بل حتى العلمية، فإنّ هذه التشريعات تفرض طريقة عمل على الباحثين تحتّم عدم تأثر النتائج العلمية بأيّ عامل اقتصادي أو مالي خارج عن إطار البحث المزمع إجراؤه (5).
ومن بين المغالطات التي تُظهر مقاربة الكاتب الخاطئة لموضوع اللقاحات، حديثه عن طريقة عمل اللقاح الروسي سبوتنيك - V، والذي اعتبره تقليدياً، في حين أن الأوراق البحثية الصادرة عن الجهات المصنّعة للقاح الروسي تُظهر أن الروس اتّبعوا طريقة جديدة غير تقليدية في صناعة اللقاح، لكن تختلف هذه الطريقة عن تلك الجديدة أيضاً، والمتّبعة في صناعة لقاح فايزر-بيونتيك (6). ثم يحاول الكاتب إثبات «منطقية» مخاوفه للقارئ، من خلال عملية شرح لطريقة عمل لقاح فايزر-بيونتيك، لكنه يورد مغالطات تستقر به عند اتهام اللقاح بالقدرة على تحويلنا إلى «مخلوقات غريبة عجيبة» بحسب تعبيره. وأثناء الشرح يبرّر الكاتب مخاوفه من خلال الحديث عن إمكانية أن تدخل مكونات اللقاح إلى المحتوى الجيني لمتلقيه، وأن تحدث التعديلات عليها. طبعاً، جانب الكاتب الصواب في هذه النقطة أيضاً، إذ أن أهل الاختصاص شرحوا مراراً وتكراراً عدم قدرة مكوّن اللقاح المسمّى mRNA الدخول إلى حيث توجد الجينات في الخلايا. وأوضح مركز مكافحة الأمراض في الولايات المتحدة الأميركية، أن الجسم يتخلّص من مكونات اللقاح بعد مرور ساعات فقط على عملية التلقيح (1 و7).
ولعلّ المغالطة الأكثر استفزازاً تكمن في الحديث عن افتقار لقاح فايزر-بيونتيك إلى مقال علمي يشرح طريقة عمله، ويبلغ عن نتائج التجارب عليه، وكيفية التوصل إلى الأرقام التي تتحدث عن فعاليته؛ واقعاً، كل ما كان يحتاج الكاتب فعله لكي يجد الإجابات عن أسئلته هذه هو أن يكتفي بكتابة كلمة «فايزر» فقط على محرّك البحث «غوغل»، لتظهر أمامه الدراسة العلمية والورقة البحثية التي فيها أجوبة عن كل ما يسأل عنه، فضلاً عن أن فايزر كانت أول شركة منتجة للقاح تُصدر ورقة بحثية عن المرحلة الثالثة من تجاربها، وفضلاً أيضاً عن عشرات المقالات الأخرى التي تتحدث عن فعالية اللقاح وأمانه بعد تجربته في أكثر من دولة (1 و8). ثم يكمل الكاتب في استراتيجية إثارة الشك غير المبرر لدى العامة حول اللقاح، حين يبدأ الحديث عن استخدام اللقاح في ظل تحوّر الفيروس، ويصف استخدام اللقاح في هذه الظروف بـ«لعبة بوكر» بسبب احتمال عدم حدوث غير متوقعة قد ترافق عملية التلقيح)، وبالتالي، لا خصوصية لفايزر في هذا الشرط (10 و11 و12). بعد ذلك، يرتئي الكاتب أن يتحدث عن البروتوكولات العلاجية للمصابين بفيروس كورونا، معتبراً عقار Hydroxychloroquine علاجاً ناجعاً، ويستند على حد قوله في وصفته هذه إلى «أكثر من مئة مقال علمي» يثبت ذلك. لكن الحقيقة هي أن العقار المذكور أعلاه ثبتت عدم فعاليته منذ مدة ليست بالقصيرة، لا بل إن منظمة الصحة العالمية أصدرت توصية بعدم استخدامه أبداً في أي بروتوكول علاجي في تموز الماضي (13). ثمّ يختم الكاتب مقاله بالحديث عن «أكثر من مئتي» مقال «علمي» يتحدث عن فعالية اللقاح الصيني وأمانه، في حين أننا مازلنا إلى حدّية على الشركات المصنعة جميعها أن تشترط ما تشترطه فايزر على الجهات المستوردة (باستثناء اللقاح الروسي الذي لمّح القيّمون عليه إلى إمكانية تحمّل جزء من المسؤولية عن مع الشركات المستوردة للقاح الروسي لضمان توثيق المواطنين الذين تلقّوا اللقاح وضمان الالتزام بالمعايير والضوابط المحددة، من قبل اللجنة الوطنية، على أن تستكمل اللجنة في اجتماعات لاحقة درس طلبات أخرى لاستقدام لقاحات إضافية؛ من بينها اللقاح الصيني لحين استكمال الملف الأسبوع المقبل.
إن القارئ والمتلقّي لكمّ المعلومات الرهيب يومياً عن فيروس كورونا وعلاجاته ولقاحاته وكل تفاصيله، يحق له أن يسأل عن مصدر هذه المعلومات وعن أهلية ناقلها، لا بهدف القدح والذم والتبخيس، بل لأن هذه المعلومات الخاطئة لا تختصر تبعاتها بنقاش بين وجهتي نظر، بل تتعرّض بشكل مباشر لحياة أهلنا وأرواح أطفالنا. فالعلم حقائق ثابتة تتكلم عنها التجارب، لا الأهواء والأيديولوجيات. ومن هذا المنطلق، يغذّي استياء أهل الاختصاص والاطّلاع من المقال عدم إرفاق الكاتب لأي مرجع يستند إليه في ادّعاءاته. ورغم كل ما سلف، وفي ظل تفلّت إعلامي متفاقم الحجم والآثار، يبقى الدور الرئيس في غربلة المعلومات المتلقاة على عاتق المتلقي؛ ففي عصر الجائحة، لا يكفي أن يكون المصدر طبيباً إذا لم يكن مختصاً، ولا يكفي أن يكون طبيباً مختصاً إذا لم يكن مطّلعاً، ولا يكفي أن يكون طبيباً مختصاً مطّلعاً إذا لم يُرفق ما يصدر عنه بدلائل علمية ومراجع مناسبة.

* طالب طب في جامعة بيروت العربية

المراجع:

1- Safety and Efficacy of the mRNA-1273 SARS-CoV-2 Vaccine | NEJM
2- Draft landscape and tracker of candidate vaccines (who.int)
3- WHO issues its first emergency use validation for a COVID-19 vaccine and emphasizes need for equitable global access
4- SAP BrandVoice: The Incredible Challenges Of Vaccinating The Concordat-to-support-research (World - Twice (forbes.com)
5- (integrity.pdf (universitiesuk.ac.uk
6- vaccine 19-Sputnik V COVID candidate appears safe and effective - The Lancet
7- Understanding mRNA COVID-19 Vaccines | CDC
8- Vaccine Safe? | 19-Is the COVID Johns Hopkins Medicine
9- Could new COVID variants undermine vaccines? Labs scramble (to find out (nature.com
10- Exclusive: ‹We›re confident Russia to share legal risks of vaccine | Reuters 19-COVID
11- AstraZeneca to be exempt from coronavirus vaccine liability claims in most countries | Reuters
12- Liability for the Production and Sale of Vaccines - Vaccine Supply and Innovation - NCBI Bookshelf (nih.gov
13- WHO discontinues hydroxychloroquine and lopinavir/ritonavir treatment arms for COVID-19
14- Arab nations first to approve Chinese COVID vaccine — despite lack of public data (nature.com

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15 ـ 01/666314 ـ 03/828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [5]

أسعد أبو خليك *

لا يزال الحديث هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتيّة، والتي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المقاومة: مذكرات»، يعيبُ عليّ بعض الأصدقاء والقرّاء بذل كلّ هذا الجهد (والمساحة الورقيّة) في تفنيد ودحض السرديّة الانعزاليّة في كتاب الجميّل. لكن لم يعد سائداً في لبنان إلّا سرديّة انعزاليّة، وباتت هي التاريخ الرسمي المعتمد للحرب الأهليّة، تردّدها حتى الأطراف المتصارعة. وقد تصبح المنهج المقرّر في الدراسة لو تركناها على غاربها. وقادة «منظمة التحرير» تركوا لبنان، وليس هناك في الجالية الفلسطينيّة المغلوب على أمرها من يريد الدخول في سجالات مع أحد، كما أنّ قادة الحركة الوطنيّة المعتزلين المتمرهلين هم إمّا انضمّوا إلى صفّ النظام السعودي، أو هم صمتوا بالكامل.

يزيّف أمين طبيعة لقاء بشير الأخير في نهاريا مع مناحيم بيغن (وكلّ الإعلام اللبناني بات واقعاً ضحيّة تزييف الرواية الانعزاليّة عن اللقاء): بشير الجميّل لم يدخل في شجار مع بيغن، ولم يكن هذا اجتماعاً. بيغن استدعى الجميّل وعامله بفظاظة، بعدما كان الأخير يعتقد أنهم سيتعاملون معه في تل أبيب كرئيس دولة محترم، متناسياً أنّهم هم نصّبوه رئيساً بالقوّة المسلّحة. بشير لا يختلف عن مصطفى دودين في روابط القرى، أو عن سعد حدّاد. وفي الاجتماع، تعرّض لتوبيخ وتقريع وخرج من الاجتماع ذليلاً مُهاناً يبكي بسبب أنّ راعيه بيغن عامله كالأطفال. يُروى أنّه بكى على كتف والده قائلاً: عاملني معاملة فظّة. لكنّ شارون الذي يعترف أنّه كان صاحب فكرة ترشيح بشير، عادَ إلى لبنان، وبعد تناول أطباق أعدّتها له سولانج الجميّل (التي يحسب مذكّرات شارون كانت تتخصّص في إعدادها له)، وكانت عبارة عن خروف محشي وكبّة مشويّة وكبّة بالصينيّة والكنافة، بالإضافة إلى أطباق أجنبيّة (جورج فريحة، «مع بشير»، ص. 215). ويزعم أمين أنّ بشير عارض بصورة «قاطعة» (ص. 77) مشاركة «القوات اللبنانيّة» في «تنظيف المخيّمات» بعد اجتياح لبنان، (والتنظيف في مصطلحات النازيّة الألمانيّة واللبنانيّة لا تعني إلّا عمليّات إبادة جماعيّة). لا، كان بشير كما يظهر في المحاضر التي نشرها جورج فريحة في كتابه «مع بشير»، وهي تتناقض مع محاضر استشهد بها أمين وإن لم ينشرها كي نحكم، مطيعاً وموافقاً على كلّ الخطط الإسرائيليّة عن المخيّمات، وحتى عن الوجود الإعلامي لـ«منظمة التحرير» في لبنان. لكنّ هذا أسلوب معهود في الكتاب الخالي من المصداقيّة. محاضر فريحة تقول إنّ شارون بعد لقاء في الحديث إلى موضوع مخيّمات صبرا وشاتيلا، وقال لبشير، أمراً: «ستذهب قوّاتنا وراء جيشك إلى المدينة الرياضيّة وصبرا وشاتيلا؟ فأجاب الجميّل: نعم إذا شئتَ التحدّث عن هذه التحرّكات فعليكَ أن تقول إنّ الجيش اللبناني هو الذي دخل هذه الأماكن، وإنّ القوّات الإسرائيليّة ما جاءت إلّا بعده لتأخذ علماً بأنّ كلّ شيء جرى على ما يرام. في وسعكم أن تأتوا بعدنا لتروا أنّ العمليّات تُنفّذ على الوجه الملائم. لا يجوز أن يظنّ أحد أنّكم تتسقّطون مع الجيش اللبناني. نسّقوا ما شئتم مع «هوبرس» (فادي افرام) وميشال عون (ما غيره) وامير درويري... إننا نقوم بعمليّة «سلامي». ردّ شارون: «إذاً، فالوقت غير مناسب للقيام الآن باعمال استعراضيّة في بيروت الغربيّة؟». أجابه الجميّل: «ليست هذه المنطقة آمنة. قد يتعرّض جنودكم للخطف والقتل... سيحصل تنسيق بين إيلي حبيقة وجوني عبده على ارفع مستوى. وهما ينسّقان مع جماعتك على مستوى رفيع أيضاً» (ص. 222). حتى في قمع حريّة التعبير للشعب الفلسطيني في لبنان، فإنّ بشير أبدى تأييداً لقرار العدو بقمع تلك الأصوات. يقول الجميّل - بعدما ذكّره بأنّ تنصيبه رئيساً كان فكرته - بصفاقة: «إذا تلقّينا معلومات عن تحرّك أحد مراكز الفلسطينيّين، كمركز شفيق الحوت، مثلاً، أو غيره، وتدخّل مغاوير نا لقمعه، فما هو الموقف الذي ستتخذونه من هذا الأمر؟». أجابه بشير: «إفعلوا ما تسمح به إمكاناتكم» (ص. 223). تحوّل هذا الحوار في كتاب الجميّل إلى رفض قاطع من بشير لمشاركة قوّات في المجازر المُخطّط لها مُسبقاً في المخيّمات (ويدخل أمين أنّ بشير كان ينوي ضمّ «القوات اللبنانيّة» إلى الجيش اللبناني).

تتهاوى سرديّة تتهاوى بسرعة، إذ إنّه يزعم بأنّ بشير بعدما تلقّى التقريع والإهانة من بيغن (هل كان ذلك مثل تلقّي سعد الحريري الإهانات في الرياض بعد ضربه وصفعه وركله؟ وما حكاية هذا الوطن «العاجق الكون» في أن زعماءه يتلقّون التقريع من حكّام أجانب وهو لا يزال يحتفل بعيد استقلاله - الصوري - سنة بعد سنة؟)، فإنه رفض أوامر شارون (الذي نصّبه رئيساً) ثم اشتكى أمره لوليّ أمره المباشر في لبنان، أي «مانديه»، ضابط الاستخبارات الإسرائيليّة المكلّف العلاقات مع «القوات اللبنانيّة» (ص. 78) وكلّ هذا في رواية الجميّل «المقاوم» نفسه. لكنّ رواية أمين تكشف مدى الأكاذيب التي رواها جوني عبده (خصوصاً في سلسلة مقابلات «شاهد على العصر» على محطة «الجزيرة») لا سيّما في معرض نفيه أنّه لم يلتقِ بإسرائيليّين وأنّه استضاف شارون - باعترافه - في منزله، لكن من دون أن يلتقيه. نحن نعلم الآن أنّ عبده هنأ شارون في مزرعته في النقب المحتل، وأمين الجميل يفضح الكثير عن وجود عبده في كلّ الاجتماعات التنسيقيّة بين جيش الاحتلال الإسرائيلي وأدواته في لبنان. والمراجع العبريّة تقول عن جوني عبده (هل تلقّى وساماً من الجمهوريّة اللبنانيّة أم ليس بعد؟) إنّه كان يعيب على قادة الجيش الإسرائيلي لينهم في قصف بيروت الغربيّة في صيف عام 1982. هذا الرجل ذاته الذي

> **ليس صحيحاً ما يقوله الجميّل عن أنّ اتفاقيّة 17 أيّار لم تكن تتضمّن بنوداً وملاحق سرّية مثل كلّ الاتفاقيّات بين دولة عربيّة وإسرائيل**

كان رفيق الحريري يريده رئيساً لجمهوريّة لبنان (تحدّث محمد حسنين هيكل عن ذلك في أكثر من مناسبة). تختلف رواية أمين عن رواية جورج فريحة في أنّ شارون كان مثل بيغن يقرّع بشير الجميّل ويوبّخه، مثلما كان يفعل مناحيم بيغن. هذا يقولون عنه إنّه كان يدافع عن سيادة لبنان. يقول أمين إنّ بشير الجميّل لم يقم بـ«تنظيف» المخيّمات (في إشارة إلى مجازر صبرا وشاتيلا)، لكنّ ذلك يعود لسبب بسيط: أنّه لم يُتح له ذلك، وكانت هناك خطط موضوعة تنتظر تسلّم بشير مهام الرئاسة بالتنسيق مع جيش الاحتلال الذي انتخبه.

وفي الوقت الذي كان أمين قد نفى فيه أن تكون قد شابت حالة من العداء والصراع علاقته مع بشير في سنوات الحرب، فإنّه يعود ليعترف بأنّ المقرّبين من بشير ناصبوه العداء بعد تنصيبه رئيساً (ص. 99). لكن إذا كانت علاقة مع بشير قد اتّسمت بالتفاهم والمحبّة والود، فلماذا يناصبك المقرّبون منه العداء؟ كان يجب أن يستمرّوا في مسار التفاهم الذي تكلّمتَ عنه. أنت تقول إنّ حفلة العشاء الأسبوعي الذي جمعكم مع أبيكم كان كافياً لإحلال التفاهم، بالرغم من مرور «غيمات صيف» في العلاقة قد تقلول، وإن أضفتَ أنّ التنافس بينكما لم يكن إلّا على خدمة لبنان. وهل أضرّ لبنان وأسال دماء بنيه أكثر من تنطّح حزبَي «الكتائب اللبنانيّة» لـ«خدمة لبنان»؟ لو أنّ هذا الحزب، وإفرازاته التنظيميّة تتوقّف مرّة واحدة، وإلى الأبد، عن «خدمة لبنان» (وهل كان التمويل الإسرائيلي وغير الإسرائيلي لحزب «الكتائب» في الانتخابات منذ الخمسينيّات من أجل «خدمة لبنان»؟)

ويكون أمين يحدّثك عن بشير وزواريب بكفيّا، وإذ به فجأة يستشهد من دون مناسبة أو سبب بقول لهنري برغسون (ص. 99). هنا، تتيقّن أنّ أمين كان يضع كتاب الاستشهادات - أو واحداً منها - الذي يستعين به رجال الأعمال والساسة المنعدمو الثقافة العامة، وذلك من أجل إضفاء طابع عميق ومثّقف على خطبهم وكتاباتهم. ما علاقة برغسون في كتابه «التطوّر الخلّاق» بعلاقتك مع أخيك بشير؟ وهل هناك رأي لشيشرون أو أرسطو في مسألة انتخابات المتن وفوز المرشّح العوني ضدّك؟

وعندما يتحدّث أمين الجميّل عن فيليب حبيب (يسمّيه «فيل» بسبب العلاقة الوثيقة)، فإنّه يستشهد برأي معادٍ للسامية لديفيد كيمحي (المسؤول المؤسّادي السابق الذي انتدبته بلاده لتمثيلها في مفاوضات 17 أيّار - إمعاناً في إذلال لبنان - فيما اختارت هي اسم المفاوض اللبناني، أنطوان فتّال، بسبب كتابه الاستشراقي المعادي للمسلمين والذي صدر بالفرنسيّة) ويقول عن قوله إنه بليغ - مع أنه معادٍ للسامية (ص. 101). وتقول المراجع الإسرائيليّة عن حبيب هذا، إنّه في المفاوضات مع إسرائيل كان يقول لمناحيم بيغن إنّه صهيوني من أيامه في بروكلين، في نيويورك. (ومرّة سألتُ حبيب بعد تقاعده إثر إقالته منصبَه في جامعة جورجتاون، في أواخر الثمانينيّات، عن حقيقة قوله لبيغن إنّه صهيوني وذكرت اسم الكتاب الإسرائيلي الذي يذكر ذلك، فقال لي إنّ ذلك غير صحيح، وإنّ الكتاب يتضمّن مغالطات أخرى).

ومع أنّ الجميّل غير معروف بروح النكتة أو خفّة الظلّ، فهناك بعض الطرائف والبدائع في الكتاب. هذا أمين مثلاً يقول لنا: «أردتُ، منذ بداية عهدي، تحصين الإدارة ضدّ فيروس الفساد، والحؤول دون إهدار المال العام، بقيناً منّي أنّ هذه الصفقات تفتح عادة شهيّة المسامسرة» (ص. 101). ليس عهد الجميّل هو الوحيد الفاسد: معظم العهود الرئاسيّة كانت فاسدة، من عهد بشارة الخوري إلى شمعون (وشمعون قد يكون من أكثر الرؤساء الذين استعملوا صفقتهم الرئاسيّة بعد خروجهم من الحكم لعقد صفقات وسمسرات، بما فيها صفقات الزجاج عندما كان يشغل وزارة الداخليّة في حرب السنتين)، وعهد شارل الحلو وخصوصاً عهد سليمان فرنجيّة، وصفقات الوزارات التي شغلها طوني فرنجيّة، إلى العهود الأخرى. لكنّ عهد الجميّل شهد اتساع الفساد على نطاق واسع بالإضافة إلى بداية انهيار العملة اللبنانيّة وخروج رؤوس أموال من لبنان. وينسى البعض أنّ الحملة العنصريّة ضدّ الفلسطينيّين في لبنان في عهد الجميّل، أدّت إلى خسارة أموال طائلة من المصارف اللبنانيّة. وإصرار الجميّل على تسليح هائل للجيش اللبناني (المنقسم والفئوي والذي لم يكن إلّا اليد الضاربة بيد التحالف الأميركي - الإسرائيلي وذراع الجميّل الميليشياوي في الحرب الأهليّة)، زاد من منسوب الهدر والفساد. وفساد صفقة البوما لن يمحوها صكّ براءة في تصريح من إيلي فرزلي.

ونكتشف في الكتاب: كما أنّ جو بادين هو الصديق الحميم لوليد جنبلاط (ألم يلتقِ بجنبلاط مرتّين، كما التقى بنائلة معوّض؟ ألا يثبت ذلك صداقة حميمة؟) فإنّ فرانسوا ميتران هو صديق حميم للجميّل، مع أنّ الرجل على ما نُقل عنه في حينه لم يكن مُعجباً بصديقه اللبناني. لكنّ الجميّل يقدّم القرائن هنا، إذ يقول إنّ ميتران دعاه إلى العشاء في «شقّة موضوعة في تصرّف الرئاسة»، حيث لاقى صديقه خفية برفقة خليلته وابنته التي لم تكن معروفة يومها. ضمنّ أمين قبوله «ضمن الحقائق الحميمة لهذا الثنائي كعلامة ثقة» (ص. 106). لكنّ فرحة أمين لم تتم إذ أنّ السائق أنزله من السيارة بعد منتصف الليل في باريس، تاركاً إياه من دون أوراق ثبوتيّة أو نقود. لكنّه وقع على خفير فقال له: «أنا أمين الجميّل، رئيس جمهوريّة لبنان، وثمّة من ينتظرني في قصر ماريني». كادت هذه الحادثة أن تشعل الحرب العالميّة الثالثة. «الله ستر»، كما يقول المؤمنون والمؤمنات.

ويُفرط الجميّل في الثناء على شفيق الوزّان، واحد من أضعف رؤساء الوزراء في تاريخ لبنان، ووصوله إلى سدّة رئاسة الوزراء بعد سليم الحصّ، كان لسبب بسيط: أنّ الحصّ لم يرتضِ أن يكون شاهد زور على القرارات الطائفيّة والسياسية المنحازة للثلاثي سركيس - بطرس - عبده، وكان يعترض عليها في مجلس الوزراء. أراد سركيس بعدما حزّم أمره، وبالتفاهم مع الحكومة الأميركيّة والسعوديّة، في دعم ترشيح بشير الجميّل رئيساً، اختيار رئيس للوزراء مطواعاً، ينفّذ ولا يعترض. ولم يكن هناك أضعف من الوزّان. وكان يساعد في ذلك السخاء المالي على المطيعين من قبل أطراف داخليّة وخارجيّة كانت تسعى لإيصال الجميّل إلى الرئاسة. وكان الفريق الانعزالي برمّته يكنّ كلّ الاحتقار لشفيق الوزّان ويتعامل معه بفوقيّة طائفيّة. وقبل ترشّح الجميّل في مطلع عام 1982، طلب الجميّل أن يجري معه عرفات حجازي مقابلة تلفزيونيّة (مع المحطة التابعة للدولة يومها) كي يُبشّر فيها بالاجتياح الإسرائيلي (هو لم يستعمل في المقابلة صفة الاجتياح لكن تحدّث عن «القرار»، وكان حجازي يلحّ عليه كي يضع اكثر في تعريف «القرار» لكنّه لم يستجب). وبعد المقابلة، طلب بشير الجميّل من حجازي أن ينقل له رسالة لشفيق الوزّان وكانت الرسالة عبارة عن شتائم وتهديدات سوقيّة وبذيئة - وقد أخبرني عرفات حجازي بذلك بعد سنوات. ونقل حجازي الرسالة للوزّان الذي اعتبرها بمثابة تهديد شخصي له. لكنّ أمين يستعين بيومياته كي يقصّ لنا كيف أنّ الوزّان كان يجيب عن الجميّل في الاجتماعات مع المسؤولين العرب كي يُجنّب الجميّل أيّ إحراج (ص. 118). المشكلة أنني سألت الوزّان في منتصف الثمانينيّات (بعد خروجه من السراي) - وقد رويتُ ذلك في حلقة سابقة - عن زعم الجميّل تعاونه معه وإشراكه في القرار، فنفى ذلك نفياً قاطعاً وقال بلجهة أنكسار: لم أكن أعلم بما يُدار ولم يشركوني بأيٍّ من القرارات.

يتحدّث الجميل في الكتاب عن الجيوش الأجنبيّة ويفضّلها على أنّها تضمّ السوريّين والإسرائيليّين والفلسطينيّين (ص. 118). أي أنّه كان - على طريقة الدعاية الصهيونيّة - يعتبر كلّ الشعب الفلسطيني في لبنان بمثابة جيش مثل جيش الاحتلال الإسرائيلي. ويعترف الجميّل بأنّ شارون كان يستعين بأدواته من الأحزاب والسياسيّين اللبنانيّين من أجل تحقيق تنازلات إضافيّة من الحكومة اللبنانيّة. لكنّ تخريجة الجميّل لقصّة «وثيقة شارون» في كانون الأوّل/ ديسمبر 1982 ليست مقنعة البتّة. و«وثيقة شارون» هي اتّفاق سرّي توصّل إليه واحد من أقرب مستشاري الجميّل في عهده، سامي مارون (والذي ارتبط اسمه بالكثير من صفقات الفساد في العهد) مع اريل شارون، والاتفاق قدّم من التنازلات أكثر ممّا ورد في اتفاقيّة الخضوع المعروفة بـ«17 أيّار». وقدّمت حكومة لبنان الكثير من التنازلات في الاتفاق إلى درجة أنّ فيليب حبيب غضب شديد الغضب من الجميّل، وبذل هذا الأخير جهداً لتهدئته واعدّت جويس الجميّل طبق مجدّرة لحبيب، وكان يحبّها «كثيراً» (ص. 120). لكنّ زعم الجميّل أنّ سامي مارون أقدم من تلقاء نفسه على عقد اتفاق مع وزير الحرب الإسرائيلي من دون علم او مشورة الجميّل، لا يمكن أن يقنع من عاصر تلك الفترة لأنّ مارون كان من أقرب مستشاري الجميّل. هل من المعقول أن مارون كان يمكن أن يقوم بتلك المفاوضات مع الوزير الإسرائيلي النافذ من دون إعلام الجميّل، خصوصاً أنّ شارون عقدّ مؤتمراً صحافيّاً في وسط بيروت في 14 كانون الأوّل/ ديسمبر أعلن فيه التوصّل إلى اتفاق مع حكومة لبنان؟ وبالرغم من تاريخ طويل من الأكاذيب والأباطيل والأساطير والأضاليل في الدعاية الرسميّة للدولة العبريّة، فإنّ البتّ في الحقيقة بين مسؤول إسرائيل وبين مسؤول عربي تكون لصالح الطرف الإسرائيلي لأنّ الطرف العربي يخادع ويوارب ويزيّف عندما يتعلّق الأمر بمفاوضات أو اتفاقات سرّية بين الطرفين. وفي دفاعه عن نفسه، يقول الجميّل: لم يكن هناك نصّ مكتوب وموقّع، كأنّ الاتفاقيّات السريّة تكون مكتوبة وموقّعة وممهورة بختم كاتب العدل. هذا يعني أنّ الجميّل كان يمكن أن يمضي في اتفاقيّة استسلام مع العدوّ تفوق في شناعتها اتفاقيّة 17 أيار، على شناعتها. لم يتوضّح في الرواية سبب غضب فيليب حبيب، وقد يعود ذلك إلى أنّ الحكومة الأميركيّة آنذاك كانت تريد أن يكون لبنان تابعاً وملحقاً لها، وليس تابعاً أو ملحقاً لإسرائيل.

وليس صحيحاً ما يقوله الجميّل عن أنّ اتفاقيّة 17 أيّار لم تكن تتضمّن بنوداً وملاحق سرّية، مثل كلّ الاتفاقيّات بين دولة عربيّة وإسرائيل، خصوصاً عندما تكون الحكومة الأميركيّة تلعب دور الرعاية والوساطة التي يصفها ميشال عون بـ«النزيهة». ثمّ، لا ننسى أنّ إجهاض الاتفاقيّة الذليلة جرى في فترة قصيرة نسبيّاً، وكان يمكن تطوير الاتفاقيّة وزيادة ملاحق إضافيّة عليها. لكنّ الجميّل يجهد في الكتاب في تعداد فضائله بحيث تصبح موافقته على الاتفاقيّة فضيلة بحدّ ذاتها. ويشكو الجميّل أمره للوسيط الأميركي كأن أميركا يمكن أن تختار حليفاً عربيّاً على الحليف الإسرائيلي. ورواية الجميّل عن الموقف الأميركي منه، هي ترداد للازمة ترد في سرد الجميّل: أنّه كان هو المُحقّ والصائب وأنّ أميركا خذلته ولم تدرك أهميّة الجميّل في العلاقات الدوليّة، خصوصاً في الصراع بين الجبارَين. لو أنّ أميركا استمرّت في دعم الجميّل، لعلّ الاتحاد السوفياتي كان سيسقط في منتصف الثمانينيّات لا في آخرها.

(يتبع)

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

(أرشيف ـ وائل اللادقي)

السنيورة مشروع «المشروع»

سعد الله مزرعاني *

رغم كلّ الخلافات القديمة والجديدة بين اللبنانيين: قوى سياسية، وأحزاباً، وحتى أفراداً... فإنّ الجميع متّفق، الآن، على أنّ أزمة بالغة الخطورة، فادحة الخسائر، ما زالت تضرب البلد وناسه من دون أن يوضع لتفاقمها وتماديها حدّ، ولو بشكل جزئي. هذا طبعاً، عرْض ويعرّض البلاد لأسوأ الاحتمالات والكوارث والمخاطر...

بالدرجة الأولى، قوى السلطة أو النظام أو «المنظومة»، هي المتّهمة، وهي، قطعاً، المسؤولة عنها. بدت هذه القوى عاجزة تماماً عن قبول أو تقديم أبسط نوع من المعالجات التي من شأنها الحدّ من الأزمة أو من تداعياتها المدمّرة. بل هي، أو القسم الأكبر منها، لا تزال تراوح في ممارساتها السابقة لجهة المضي في التنافس على السلطة وعلى المكاسب، وبالأسلوب السابق نفسه: أسلوب التحاصُص والصفقات والفساد والنهب وقلّة المسؤولية... مقرونة بفئوية جامحة تتلطّى بالطائفة والمذهب وسيلة لخدمة مصالح كبار المتحكّمين بمؤسّسات السلطة وموارد البلاد ولقمة عيش المواطن، فضلاً عن أمنه ومستقبله ومصائره جميعاً.

رغم كلّ ما حصل وسيحصل، تُواصل هذه القوى استنزاف البلد والمواطن إلى حدود الموت! يكشف ذلك أمرَين على الأقل: الأول، أنّ هذه القوى التي لم ترتقِ إلى مستوى، ولو بسيط، من المسؤولية الوطنية، في ظروف كارثية ومأساوية كالظروف الحاليّة، هي ليست فقط، قوى عاجزة، بل هي ساقطة بكلّ المقاييس! الثاني، هو أنّ هذه القوى هي وليدة منظومة متكاملة، سياسية واقتصادية واجتماعية... وهي تتغذّى من هذه المنظومة وتغذّيها في علاقة تفاعلية جدلية محكمة. وهكذا، تتكافل وتتكامل المنظومة مع مكوّناتها فتصبحان كياناً واحداً لا تنفصم عراه. وفاقاً لهذه المعادلة، يصبح التغيير ممكناً فقط من خارج البنية القائمة المختلّة والفاسدة، وبإبعاد مكوّناتها المتورّطة والمستفيدة، ما يتطلّب شروطاً وتوازنات مختلفة ونوعية ما زالت، واقعياً، غير متوفرة حتى الآن.

أخطر من ذلك، أنّ قوى السلطة التي يخوض أطرافها معارك يومية ومتواصلة، يحرصون في الوقت نفسه، على إيهام الناس بأنّ المشكلة إنّما تكمن في مواقف وسياسات الخصم، وليس في الصيغة نفسها التي تفاقمت أضرارها على النحو المخيف الذي يعيشه اللبنانيون على الصعد كافة.

ساعَدَ منظومة التحاصص على المضي في تجاهل معاناة المواطنين ومآسيهم المتلاحقة، عجزُ المحتجّين الذين اندفعوا، في المراحل الأولى، بشكل واسع وصاخب ومقلق للسلطة بكل تلاوينها، عن التشكّل في حركة واحدة، منظّمة ومصمّمة، يجمعها هدفٌ واحد، وتفعّل حركتَها آليات وأولويات واضحة وحازمة وسليمة. تكرّر، ويتكرر إلى الآن، قول من نوع «بدنا حقوقنا» و«كلّن يعني كلّن». وفي تدقيق بسيط، يتبيّن أنّ مثل هاتين العبارتين يخفي غياباً تامّاً وفادحاً لوعي المشكلة والهدف. ثمّة، في حقيقة الأمر، حالة من التشرذم والضحالة. ثمة أيضاً، أهداف مضمرة تقفُ وراءها جهات أجنبية غالباً ومحلية أحياناً. وهي أهداف من النوع الذي لا يمكن إعلانه مبكراً خشية فشل الخطة التي أنفق وينفق من أجلها الكثير من الجهد والمال، خصوصاً من قبل الإدارة الأميركية التي أعلنت بنفسها إنفاق أرقام هائلة على مدى سنوات متواصلة. ورغم رفع شعارات ضدّ الطائفية والمحاصصة والفساد من قبل المحتجين، فإنّ الصورة لم تتبدّل والحراك لم يتحوّل، أبداً، باتجاه بلورة صيغة وبرنامج للاحتجاج الشعبي المعارض يصوّب على الخلل القائم في منظومة المحاصصة، منظومة النهب والفساد والتبعية والفئوية... استفادت منظومة المحاصصة أيضاً، من تشرذم قوى التغيير التقليدية التي عجزت عن أن تتشكّل، هي بدورها، في نطاق تيار موحّد حول إطار وبرنامج وأولويات. فهذه القوى، مبدئياً وموضوعياً، هي وحدها القادرة على صياغة برنامج شامل يعالج الأزمة بشكل صحيح، ولا ينزلق إلى التفريط بالإيجابيات والإنجازات الوطنية، وخصوصاً في حقل التحرير والمقاومة ضدّ العدو الصهيوني وحماته.

يقتضي الإنصاف الإشارة إلى أنّ الانتفاضة الشعبية قد نجحت في جذب مئات الآلاف إلى الساحات. هي قد أقلقت، حقاً، قوى السلطة المتحكّمة، وكشفت الكثير من زيف منظومتها السياسية والدعائية التي عزّزتها خلال عشرات السنوات. يجب أيضاً تسجيل أنّ جائحة «كورونا» قد قدّمت خدمة كبيرة لمنظومة التحاصُص، ما حدّ من التحرّك الشعبي حتى في صورته العفوية وغير المنظمة. لكنّ ذلك لا يُلغي حقيقة أنّ البديل لم يكن قيد التبلور، ولو في الحد الأدنى من شروط ولادته، التي كان ينبغي أن يسرّعها وينضجها شرطُ موضوعي ملائم إلى أقصى الحدود.

في السياق، وبعدما تفاقم الصراع، أخيراً، بين أطراف المنظومة إلى حدّ العجز عن تشكيل حكومة (بعد اعتذار الرئيس المكلّف السابق وقبله استقالة حكومة الحريري)، تحرّك رئيس الحكومة الأسبق فؤاد السنيورة، سعياً لبناء تحالف يجمع كلّ أو معظم مكوّنات فريق 14 آذار السابق. يشكّل تحرّك السنيورة استكمالاً لمبادرة البطريرك بشارة الراعي. وهو يحاول استثمار الأزمة في السياسة وفي الشارع (أحداث طرابلس الأخيرة ليست خارج هذا السياق)، مواصلاً مواقف وتوجّهات عُرفت له، خصوصاً أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 2006. في بعض كلام الرئيس السنيورة، في جولته على مراجع وقوى سياسية، ما يذكّر بماري أنطوانيت وهي تطالب الناس باللجوء إلى البسكويت بدل الخبز! لكنّ الرجل ليس بهذه الخفّة. لقد توجّه بعد لقائه رئيس البرلمان، إلى فريق محدّد من المتظاهرين مطالباً إياهم، بشكل مباشر، بالانفضاض عن المقاومة (وضمناً عن العداء لإسرائيل)، وذلك لكسب «دعم المجتمع الدولي والعربي»، وبالتالي حلّ الأزمة الاقتصادية.

ما كان يُعمل له بشكل غير مباشر، في الشارع وفي الغرف السفاراتية المغلقة، يلخّصه علناً الآن مشروع السنيورة الذي يبدي غيرته الزائدة على دولة لم يتورّع عن نهبها عندما كانت مقدّراتها المالية تحت تصرّفه وزيراً ورئيساً للحكومة (أحد عشر ملياراً وليس كوكباً!). يلاقي مشروع السنيورة «صفقة القرن» الترامبية إلى أكثر من منتصف الطريق. هو، فعلياً، صدى للسياسة الأميركية حيال لبنان والمنطقة (والقضية الفلسطينية خصوصاً) كما عبّر عنها، مباشرة، المسؤولون الأميركيون وخصوصاً سفيرتهم في لبنان.

طبعاً، مشروع السنيورة، الذي ينتمي إلى الحقبة الترامبية، سيتعثّر جزئياً بعد سقوط ترامب. لكنّ جوهر السياسات الأميركية لن يتغيّر. الأمور بالغة الخطورة: المواجهة ينبغي أن تكون، إذن، بالغة الجدية!

* كاتب وسياسي لبناني

تقرير

الرياض تترقّب المزيد من قرارات بايدن: لا وقت للمعارك الجانبية

في ظلّ التوتّر المتزايد في الخليج على وقع قرارات الإدارة الأميركية الجديدة، تسعى السعودية إلى تلافي أيّ معارك جانبية، من مثل التوتّر المتجدّد بين مصر وقطر، تفادياً لأيّ تأثيرات غير مرغوبة في الوقت الراهن الذي تسعى فيه إلى شدّ «اللُّحمة» في وجه جو بايدن

القاهرة - **الأخبار**

بعد أيّام من تجدّد التوتر بين القاهرة والدوحة على خلفية مواقف بعض مسؤولي البلدَين خلال المفاوضات التمهيدية، وما حدث من انتقاد للجيش المصري عبر وسائل إعلام محسوبة على قطر، طوت العاصمتان صفحة الخلاف بعد وساطة كويتية لم تَدُم طويلاً، وجرت عبر أمير الكويت شخصيا

> تنظر الرياض بقلق وترقّب شديدَين إلى موقف مسقط التي يُحكى عن تغييرات جوهرية فيها

الذي تواصل مع السيسي في اتّصال غير معلن بداية الأسبوع الماضي، وذلك ضمن حزمة اتصالات جرت من مقرّ القصر الجمهوري في القاهرة. الاتصالات التي أجراها السيسي تناولت ثلاث مسائل رئيسة مع الخليجيين: الأولى مرتبطة بتزكية أحمد أبو الغيط كأمين عام لـ«جامعة الدول العربية» لمدة 5 سنوات جديدة في الاجتماع المقبل لوزراء الخارجية العرب؛ والثانية متعلّقة بالحصول على دعم خليجي للموقف المصري في شأن قضية سدّ النهضة وطلب ممارسة ضغوط خليجية فعلية على إثيوبيا للانخراط بشكل جدّي في مفاوضات للتسوية النهائية؛ أمّا المسألة الثالثة فمتّصلة بمسار العلاقات بين «الرباعي العربي» والدوحة في أعقاب الحلحلة التي ولّدها بيان «قمة العلا».

حملت الاتصالات الكثير من التفاصيل والمعلومات التي جرت مناقشتها بشكل مستفيض، خاصة في ما يتعلّق بملفّ المصالحة مع قطر، في الوقت الذي بات واضحاً فيه عدم الرضى المصري على العودة السريعة للعلاقات، والتي لم تراع تطبيق أيّ من مطالب القاهرة، بما فيها الحدّ الأدنى من المحتوى المذاع على شاشة «الجزيرة»، والذي دفع إلى تجدّد التوتر الأسبوع الماضي. على أن الإجابات الخليجية على تلك الإشكاليات ارتكزت إلى ضرورة تجاوز أيّ خلافات في الوقت الراهن. ويشعر الحكّام الخليجيون بالقلق من تصرّفات الإدارة الأميركية الجديدة، بناءً على تقارير وردتهم من سفاراتهم. وليس مردّ القلق، فقط، الموقف من الحرب في اليمن والذي جرى إبلاغه للسعوديين قبل الإعلان عنه رسمياً، ولكن أيضاً مشكلات أخرى قائمة لم يتمّ حلها أو التوصّل فيها إلى نقاط التقاء مع الإدارة الجديدة، التي تأخّرت أكثر من اللازم، بحسب مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، في التواصل مع القادة وممثّليهم في الشرق الأوسط، فضلاً عن عدم الرغبة الأميركية في الوصول إلى حلّ لتلك المشكلات قبل السعي نحو صياغة اتفاق جديد مع إيران.

بحسب ما نُقل إلى السيسي في المكالمات التي يُتوقّع أن تتبعها لقاءات خليجية - مصرية - أردنية، فإن ملفّات عدّة ستجري مناقشتها تمهيداً لصياغة مواقف موحّدة فيها لعدم ترك الباب مفتوحاً أمام نقاط خلافية في التعامل مع الإدارة الأميركية الجديدة. على أن ما يقلق «الرباعي العربي» في مساعيه تلك هو موقف كلّ من سلطنة عمان والكويت اللتين تتمايزان عنه، فضلاً عن أن الأردن يحاول الحفاظ على الوسطية بين الفرقاء العرب. على أن مساحة التوافق التي سعى «الرباعي العربي» لتشكيلها ارتبطت بالخطوط العريضة مع الاختلاف في التفاصيل، لا سيما بين الرياض وأبو ظبي، حيث يكمن خلاف مبطّن بين وليّ عهد السعودية محمد بن سلمان، ونظيره الإماراتي محمد بن زايد، الذي يرى أن التهاون مع إدارة بايدن سيهدّد استقرار المنطقة، خاصة في ظلّ ما يقول إنه رغبة واشنطن في هدم جميع ما تحقّق من حشد بمواجهة إيران، فيما يطلب ابن سلمان تهدئة الأوضاع مؤقتاً انتظاراً لما سيجري على الأرض.

يشعر الحكّام الخليجيون بالقلق من تصرّفات الإدارة الأميركية الجديدة، بناء على تقارير وردتهم من سفاراتهم (أ ف ب)

وعلى رغم توقّع السعودية مزيداً من القرارات الأميركية، ليس في شأن اليمن فقط وإنّما في ملفات أخرى أيضاً، بحسب مصدر مصري تحدّث إلى «الأخبار»، فإن الأزمة الحقيقية التي تخشاها الرياض ترتبط بمواقف باقي دول الخليج، لا سيما سلطنة عمان التي يُنظر إليها بقلق وترقّب شديدَين خلال الفترة الحالية، لا بسبب التعديلات التي أقرّت أخيراً على نظام الحكم فحسب، بل ولأسباب إضافية مرتبطة بتقارير استخباراتية تتحدّث عن تغيّر جوهري في السياسة الخارجية خلال الفترة المقبلة حال استقرار الأوضاع داخلياً، لا سيما بعدما حصلت مسقط على دعم ماليّ من الدوحة في الفترة الأخيرة.

بالنتيجة، ما جرى التوصّل إليه في ختام الاتصالات ضرورة المهادنة حتى إشعار آخر، لا سيما أن أيّ خلاف ليس مقبولاً في الفترة الراهنة، ليس لعدم ضمان ردّ الفعل الأميركي فقط، ولكن لما يمكن أن تُحدثه الدوحة من ضغوط على صنّاع القرار في واشنطن بصورة أكبر من أيّ وقت مضى.

اليمن

تجدّد التوتر في باب المندب: «الإصلاح» ماضٍ في محاصرة «الانتقالي»

في ظلّ فشل السعودية في استكمال تنفيذ الشقّ العسكري من «اتفاق الرياض»، يتجدّد التوتر بين طرفي الاتفاق في المناطق الاستراتيجية من مضيق باب المندب، حيث يتابع «الإصلاح» جهوده لمحاصرة «الانتقالي» وتطويق مدينة عدن

صنعاء - **رشيد الحداد**

دفع «الانتقالي» بقوات عسكرية كبيرة إلى مناطق قريبة من تمركز «الإصلاح» (أ ف ب)

بعد هدوء دام عدّة أشهر، عاد التوتر بين ميليشيات «المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي للإمارات، وميليشيات حزب «الإصلاح» (إخوان مسلمون)، إلى المناطق الغربية من باب المندب. هذه المرّة، تجاوز التوتر بين الطرفَين الحرب الباردة التي شهدتها مناطق غرب تعز وشرق محافظة لحج، إلى الاستعداد لمواجهة عسكرية فاصلة؛ إذ إن عناصر ما يُسمّى «الحشد الشعبي» الذي يقوده القيادي في «الإصلاح»، حمود سعيد المخلافي، في غرب تعز بتمويل تركي وقطري كبير، توغّلوا بشكل كبير في نطاق محافظة لحج، بعدما تمكّنوا من تشكيل لواء عسكري جديد قوامه 3000 مجنّد معظمهم من أبناء طور الباحة والصبيحة، في منطقة الوازعية القريبة من باب المندب. وتزامن ذلك مع استكمال قوات «اللواء الرابع - مشاة جبلي» الموالي لـ«الإصلاح» في أطراف مديرية طور الباحة ترتيباته للإعلان عن محور طور الباحة العسكري، الذي يُفترض أن تمتدّ سيطرته إلى مدينة الحوطة - مركز محافظة لحج -، ويسعى «الإصلاح» إلى تشكيل ثمانية ألوية عسكرية في نطاقه.

وتمثّلت تحرّكات «الإصلاح» العسكرية، خلال الأيام الماضية، في المناطق الاستراتيجية القريبة من مضيق باب المندب، في تدشين محور عسكري جديد في طور الباحة، وتنفيذ عرض عسكري كبير هناك، وهو ما أثار مخاوف الميليشيات الموالية للإمارات، والتي وجدت نفسها أمام واقع جديد فرضه خصومها، على رغم تعهّدهم مطلع تشرين الأول/ أكتوبر الماضي بإلغاء المحور المذكور والانسحاب من جميع المناطق الواقعة في نطاق سيطرة «الانتقالي». وكان «الإصلاح» تجنّب، في الآونة الأخيرة، الدخول في صراعات مع «الانتقالي»، وعمل على استقطاب المئات من أبناء الصبيحة وطور الباحة، حتى يتمكّن من إيجاد حاضنة اجتماعية تتيح له التوغّل في نطاق محافظة لحج، وبسط سيطرته على طرق الإمدادات التجارية الاستراتيجية بين محافظتَي تعز وعدن، والتحكّم في الخطّ الساحلي بين مدينة عدن والساحل الغربي.

إزاء ذلك، عقدت قبائل الصبيحة، الأربعاء، اجتماعاً طارئاً، اعتبرت فيه إعلان المحور العسكري الذي سبق أن اتفقت مع «الإصلاح» على إلغائه «انقلاباً على الاتفاق»، داعية «الانتقالي» إلى «سرعة التدخل وإفشال مؤامرة حزب الإصلاح التي تستهدف أمن واستقرار مناطق الصبيحة». وخوّلت حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، المسؤولية الكاملة عن تداعيات التطورات الأخيرة، محذّرة من تطويق «الإصلاح» لمدينة عدن من الغرب، ومطالبةً ما يُسمّى «الحزام الأمني» في الصبيحة بمواجهة التهديدات الجديدة لميليشيات «الإصلاح» التي استحدثت عدداً من المواقع العسكرية ونصبت نقاط تفتيش، وهو ما اعتبرته القبائل «استفزازاً للجنوب». وفي أوّل تحرّك عسكري مقابل، دفع «الانتقالي»، الخميس، بقوات عسكرية كبيرة مدعومة بالمدرّعات والدبابات الى مناطق قريبة من تمركز «الإصلاح» في طور الباحة. وقالت مصادر محلية، لـ«الأخبار»، إن ميليشيات «الحزام الأمني»، بقيادة العميد وضاح عمر الصبيحي، نفّذت الخميس عملية انتشار عسكري في طرقات طور الباحة، ونصبت عدّة

> يأتي التوتر الأخير بعدما أعلنت الإمارات سحب ما تبقّى من قواتها في الساحل الغربي

نقاط أمنية عند معظم مداخل المديرية ومخارجها، لتأمين دخول تعزيزات كبيرة من «اللواء التاسع - صاعقة» بقيادة العميد فاروق الكعلولي التابع لـ«الانتقالي»، ومواجهة تمدّد «الإصلاح» في محافظة لحج. ووفقاً للمصادر، فإن قوات من «اللواء الثالث - حزم» قدمت هي الأخرى إلى المديرية من أجل الغرض نفسه.

وفي موازاة ذلك، أوقفت ميليشيات تابعة لـ«الانتقالي»، الثلاثاء الماضي، مشروع طريق بديل يقف وراءه تنفيذه «الإصلاح»، ويمتدّ من منطقة الصافية في مديرية المعافر الواقعة في نطاق محافظة تعز، وصولاً إلى مديرية طور الباحة. ويتهم «الانتقالي»، «الإصلاح»، باستغلال الأوضاع لتنفيذ طريق إمداد عسكري جديد، كبديل من خطّ الإمداد الرابط بين هيجة العبد في تعز ولحج.

ويأتي التوتر الأخير بعدما أعلنت الإمارات سحب ما تبقّى من قواتها في الساحل الغربي مطلع الشهر الجاري، توازياً مع دخول قوات سعودية إلى قيادة تحالف العدوان في ميناء المخا. كما يأتي في ظلّ فشل اللجنة العسكرية السعودية في محافظة أبين في استكمال تنفيذ الشقّ العسكري من «اتفاق الرياض»، وسحب ميليشيات «الإصلاح» و«الانتقالي» من أبين، ورفض الأخير إدخال قوات الحماية الرئاسية التابعة لهادي إلى عدن، واشتراطه سحب ميليشيات «الإصلاح» من محافظة شبوة وإعادة ما يسمّى «النخبة الشبوانية» إلى المحافظة. ويرى مراقبون أن التطورات الأخيرة في مديرية طور الباحة، التي تمتدّ مساحتها إلى مقربة من مدينة عدن، تؤكّد توجّه «الإصلاح» لمحاصرة تحرّكات «الانتقالي» العسكرية في لحج والساحل الغربي، وتطويق مدينة عدن.

تقرير

صنعاء تتدارس الردّ: إعلان واشنطن إقرار بالهزيمة

صنعاء ــ **الأخبار**

تتحفّظ صنعاء عن الترحيب بإعلان الرئيس الأميركي، جو بايدن، وقف دعم بلاده للحرب في اليمن، وتنتظر ثبوت صدقية تلك النوايا على الأرض. وباستثناء تصريحات، وُصفت بالشخصية، لوزير الخارجية في حكومة الإنقاذ، هشام شرف، رحّب فيها بـ«أيّ خطوات جادّة تنهي الحرب وترفع الحصار وتساهم في

> مصادر مقرّبة من «أنصار الله» عدّت إعلان بايدن «اعترافاً صريحاً بأن الحرب أميركية»، مشيرة إلى أن كلّ غارة من غارات العدوان على مدى ستّ سنوات، والتي تجاوزت 270 ألفاً، نُفّذت بأدوات أميركية. وشدّدت على أن خطوة واشنطن الأخيرة «ليست صحوة ضمير متأخّرة»، بقدر ما هي «محاولة للتنصّل من جرائم الحرب والحصار»، و«إقرار بالهزيمة العسكرية والمعنوية للولايات المتحدة وحلفائها في اليمن». وعلى مستوى الشارع، انقسمت ردود الفعل ما بين مُرحّب ورافض ومتحفّظ. فالكثير من

إحلال السلام»، لم يصدر عن حكومة الإنقاذ وقيادة «المجلس السياسي الأعلى» أيّ موقف حتى الآن. وذلك لا يعني، بحسب حركة «أنصار الله»، رفض دعوات السلام كما يحاول البعض من الموالين للتحالف السعودي - الإماراتي ترويجه، إلّا أن قيادة صنعاء تتدارس الردّ على التوجّه الأميركي الجديد، خصوصاً لاعتبارها أن العدوان الذي أعلن من واشنطن صبيحة الـ26 من آذار/ مارس 2015، إنما هو «أميركي بامتياز». وسبق لـ«أنصار الله» أن طرحت «مبادرة سلام» منتصف العام الماضي طالبت فيها بتفاوض ندّي بين اليمن والسعودية. كما جدّدت وزارة الخارجية في صنعاء، في رسالة بعثتها إلى رئيس مجلس الأمن الدولي، جيري ماتجيلا، في كانون الأول/ ديسمبر 2020، دعوتها الرياض إلى «الجلوس على طاولة المفاوضات»، بما «يؤسّس لعلاقات جوار قائمة على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية».

مصادر مقرّبة من «أنصار الله» عدّت إعلان بايدن «اعترافاً صريحاً بأن الحرب أميركية»، مشيرة إلى أن كلّ غارة من غارات العدوان على مدى ستّ سنوات، والتي تجاوزت 270 ألفاً، نُفّذت بأدوات أميركية. وشدّدت على أن خطوة واشنطن الأخيرة «ليست صحوة ضمير متأخّرة»، بقدر ما هي «محاولة للتنصّل من جرائم الحرب والحصار»، و«إقرار بالهزيمة العسكرية والمعنوية للولايات المتحدة وحلفائها في اليمن». وعلى مستوى الشارع، انقسمت ردود الفعل ما بين مُرحّب ورافض ومتحفّظ. فالكثير من المواطنين اعتبروا الإعلان الأميركي نتيجة حتمية لفشل خيار الحرب، فيما حذر فريق آخر من «خدعة السلام الأميركية»، مستدلاً على ذلك بإعلان «التحالف» انتهاء عاصفة الحزم في 21 نيسان/ أبريل 2015، وما أعقبه من استمرار العمليات العسكرية والحصار.

على أن اللافت في الأمر هو ما أبداه الموالون لـ«التحالف» من انزعاج شديد من التوجّه الأميركي الجديد، واعتبارهم إيّاه اعترافاً بانتصار «الحوثيين»، واتهامهم حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، بالتسبّب بتراجع التأييد الدولي لـ«الشرعية» على مدى ست سنوات.

وعلى رغم أن مستشار بايدن للأمن القومي، جايك سوليفان، أوضح أن قرار وقف الدعم تمّ تنسيقه مسبقاً مع السعودية والإمارات، إلّا أن القرار ولّد حالة من الإرباك لدى كلّ من الرياض وأبو ظبي وحكومة هادي. وفيما أعادت الإمارات ادّعاء إنهاء عملياتها في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، رحّبت السعودية بالموقف الأميركي، متعهّدة في بيانها إعادة الحديث عن «سلام المرجعيات الثلاث» الذي تجاوزه الزمن وصار أحد أسباب استمرار الحرب في ظلّ التغييرات التي حدثت في الخارطة العسكرية في اليمن. وعلى المنوال نفسه، شدّدت وزارة خارجية هادي على ضرورة إعادة الأوضاع إلى ما قبل 21 أيلول/ سبتمبر، وتنفيذ قرارات مجلس الأمن بخصوص اليمن، وإعادة حكومة هادي إلى صنعاء، وتسليم السلاح الثقيل.

على مستوى الشارع، انقسمت ردود الفعل ما بين مُرحّب ورافض ومتحفّظ (أ ف ب)

ومع أن ردود الفعل تلك تشير إلى استمرار النهج نفسه، إلّا أن وزير الخارجية اليمني السابق، أبو بكر القربي، اعتبر أن تعيين إدارة بايدن، الدبلوماسي الأميركي تيم ليندركنج مبعوثاً خاصاً لليمن، يؤكّد أنها جادّة في وقف الحرب. ودعا القربي كلّ الأطراف إلى «الاستفادة من التوجّه الأميركي الأخير لمصلحة اليمن وشعبه»، والانخراط في «مفاوضات لتحقيق حلّ عادل وشامل للجميع». وكانت الخارجية الأميركية أعلنت أن ليندركنج سيعمل مع المبعوث الأممي إلى اليمن، مارتن غريفيث، على الدفع بعملية السلام، لافتة إلى أن من أولوياته «تسهيل المساعدات الإنسانية والاستيراد التجاري للسلع الأساسية، وتنشيط الدبلوماسية الأميركية مع الأمم المتحدة وغيرها لإنهاء الحرب».

الجولة الثالثة من مشاورات عمّان تتّجه إلى الفشل

فشلت الجولة الثالثة من مشاورات الأسرى التي ترعاها الأمم المتحدة في العاصمة الأردنية عمّان، على مدى الأسبوعين الماضيين، في إحداث أيّ اختراق جديد في الملفّ. وكانت هذه الجولة قد انطلقت في 24 كانون الثاني/ يناير الماضي بين وفدَي صنعاء وحكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي. واتّهم رئيس وفد صنعاء، عبد القادر المرتضى، حكومة هادي، أمس، بتعمّد إفشال الجلسات الأخيرة، قائلاً في تصريح صحافي إن «الطرف الآخر يعمل منذ أسبوعين على إفشال المشاورات»، مدافعاً بأن فريقه «عمل بكلّ جهد على إنجاح المفاوضات للتخفيف من معاناة الأسرى، لكنّ هناك إصراراً من مرتزقة العدوان على إفشالها». وكان من أهمّ ملفّات الجولة الحالية تثبيت قوائم الشقّ الثاني من «اتفاق عمّان 3» الذي يشمل 300 اسم من الطرفين، لم يتمّ التوافق عليها حتى الآن وفق مصادر حقوقية مطّلعة. ويحاول وفد حكومة هادي المفاوض التوصّل إلى صفقة للإفراج عن شقيق هادي، ناصر، وضبّاط سعوديين سبق لحركة «أنصار الله» أن تعهّدت بالإفراج عنهم مقابل المعتقلين من حركة «حماس» لدى السعودية، في مقابل تنكّره للمئات من أسرى قوّاته في جبهات الحدّ الجنوبي. وبحسب ما تراه صنعاء، فإن التفاف وفد حكومة هادي على قوائم الأسرى المتّفق عليها سابقاً بين الطرفين، يؤكّد عدم جدّيته في إنهاء معاناة الآلاف من الأسرى، واستمرار تعامله مع الملفّ تعاملاً سياسياً.

الحدث

دخلت ليبيا مرحلةً حاسمة جديدة مع انتخاب «ملتقى الحوار الوطني» سلطة انتقالية يُفترض أن تُشرِف على انتخابات نهاية العام الجاري. وشكّل حصول محمد المنفي على منصب رئيس المجلس الرئاسي، وعبد الحميد الدبيبة على منصب رئيس الحكومة، صدمةً في مصر والخليج، لكونهما محسوبَين على تيار الإسلام السياسي، المدعوم من تركيا، وهو ما عُدَّ بمثابة مكسب كبير لهذه الأخيرة في الحرب الليبية

سلطة انتقالية جديدة في ليبيا
مكسبٌ أول لتركيا

بعد مخاض عسير، وفي ظلّ تحالفات تخالف عداوات سابقة، انتخب ممثلو الليبيين في «ملتقى الحوار الوطني»، بحسب التقارير الصادرة عن «البنتاغون»، وأبرزها وثيقتا الأمن القومي والدفاع الوطني في 2018، ليس من المستغرب أن يصبح الصدام المباشر بين هذه القوى فرضية مركزية للعسكرية الأميركية والغربية. فالتنافس على النفوذ بين أطراف مهيمنة تتراجع قدراتها، وأخرى صاعدة وطموحة، هو الذي قاد في حالات كثيرة، في التاريخ المعاصر والقديم، إلى صدامات وحروب دامية في ما بينها. رأى البعض أن امتلاك القوى العظمى للسلاح النووي يلغي احتمال المواجهة المباشرة بينها بسبب خطر الإفناء المتبادل الناجم عن استخدامه، غير أن دراسات وأبحاثاً لعسكريين وخبراء أميركيين في الآونة الأخيرة لم تعُد تستبعد مثل هذه المواجهة، وهي تُقدّم توصيات

وليد شرارة

لكيفية الاستعداد لها. وعلى الرغم من أن تضخيم المخاطر الخارجية هو بين الأساليب المعروفة التي يلجأ إليها المجمع الصناعي العسكري في الولايات المتحدة، أي التحالف العضوي بين المؤسسة العسكرية الأميركية وكارتيلات السلاح، ليضمن حصة ضخمة من الميزانية العامة للدولة، فإن الخيارات التي قد تعتمدها إدارة بايدن نتيجة لها ستكون لها تداعيات على خيارات «المنافسين الدوليين» بلا ريب. ومن الواضح أن المواقف الحادّة التي أطلقها أقطاب هذه الإدارة حيال روسيا والصين، وفي مقدّمتهم الرئيس نفسه ووزير خارجيته أنتوني بلينكن، تنسجم بدرجة كبيرة مع توجّهات «الدولة العميقة»، وفي قلبها المؤسسة العسكرية، المعادية بشدّة لهذين البلدين. الالتفات إلى مثل هذه الدراسات، وإلى تأثيرها المحتمل على خيارات إدارة بايدن في ميدان التسلّح وعلى أشكال «هجينة» من الانتشار العسكري الخارجي، يسهم في توضيح استراتيجية تلك الإدارة العامة الفعلية ومفاعيلها على صراع دولي مرشّح للتصاعد.

المواجهة النووية المحتملة

كثيراً ما يُفسَّر العداء المتجذّر في المؤسسة العسكرية الأميركية لروسيا، وذلك المتزايد للصين، على أنه من مخلّفات «عقلية الحرب الباردة»، أي أنه موروث من مرحلة تاريخية طغى فيها البعد الأيديولوجي في الصراعات الدولية على الأبعاد الأخرى. والواقع هو أن هذا البعد الأيديولوجي، أي مناهضة الشيوعية، لم يكن سوى الخطاب التبريري لسعي الولايات المتحدة للهيمنة وإضعاف و/أو تدمير جميع القوى الدولتية وغير الدولتية المعارضة لها، بما فيها قوة بحجم الاتحاد السوفياتي. سردية مختلفة حَلّت اليوم في مكان مناهضة الشيوعية، وهي تلك التي تصف «المنافسين» بالقوى «التحريفية» العاملة على تدمير النظام الدولي الليبرالي الذي شَيّدته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. الأميرال في الجيش الأميركي، تشارلز ريتشارد، رأى في مقال على موقع معهد البحرية الأميركية بعنوان «بناء الردع الاستراتيجي في القرن الـ 21»، أن استخدام أدوات القوة من قِبَل روسيا والصين لـ«تحدّي الأعراف الدولية والسلم العالمي أضحى يفوق ما شهدناه في أوج الحرب الباردة». وأضاف أن عدم تصدّي الولايات المتحدة لسلوك الدولتين سيحرمها من ميزتها المركزية، وهي القدرة على إظهار القوة الاستراتيجية واستخدامها لتوسيع النفوذ، وسيقنع الدولتين بإمكانية المضيّ في غيّهما. أعدّ ريتشارد لائحة اتهامية طويلة بحقهما. فروسيا شرعت في عملية تحديث كاملة لبنيتها العسكرية، تشمل ترسانتها النووية والصاروخية وقاذفاتها الاستراتيجية. والأمر نفسه ينطبق على الصين، التي أنجزت تقدّماً هائلاً في مجال الصواريخ الفائقة السرعة والأسلحة النووية وتلك الخاصة بحرب الفضاء، وطوّرت نوعياً قدراتها العسكرية البحرية. ولا يتردّد البلدان، وفقاً لريتشارد، في تعمّد الاحتكاك مع سفن وطائرات الولايات المتحدة وحلفائها في جوارهما المباشر، كبحر الصين الجنوبي أو المحيط الهادئ.

الخلاصة الأساسية التي يصل إليها هي أن «الفرضية الرئيسية للقيادة العسكرية الأميركية، وهي أن قدرة الردع الأميركية ستبقى قائمة خلال الأزمات والصراعات المقبلة، ستتعرّض لامتحان عسير وغير مسبوق. لسوء الحظ، فإن أعداءنا استثمروا بكثافة في الميادين النووية والاستراتيجية للحدّ من قدرتنا على التدخل والتأثير، ولاختبار متانة تحالفاتنا، وللمبادرة إلى استخدام أسلحة نووية في حالة اضطرارهم لذلك. هناك إمكانية فعلية لكي تتدحرج أزمة إقليمية مع روسيا أو الصين بسرعة نحو مواجهة يتمّ خلالها اللجوء إلى أسلحة نووية، في حال اعتقاد قادة البلدين بأن خسائرهم في حرب تقليدية قد تُهدّد نظامَيهما». التوصية الأولى التي يُقدّمها الأميرال الأميركي هي ضرورة استبدال فرضية أن «استخدام السلاح النووي غير ممكن» بأخرى مفادها أن «اللجوء إليه ممكن جدّاً». التوصية الثانية هي العمل على الاحتفاظ بتفوّق نسبي على الأعداء في إطار التنافس معهم. التوصية الثالثة هي الحرص على أن تكون القدرات المتاحة متناسبة مع الاستراتيجية العامة وما يترتّب عليها من التزامات عالمية. ومن نافل القول إن القيادتين السياسية والعسكرية الصينية والروسية مطّلعتان على مثل هذه الدراسات والتوصيات، وإنهما ستتابعان بدقة مدى أخذها بعين الاعتبار في خطط التطوير للقواعد التقليدية. وبما أن غاية ذلك من تعاظم لسباق التسلّح وتصاعد للتوتر بين «المتنافسين»، لا يُتوقع أن يكون رئيس مجلس الدولة قادراً على إزاحة خليفة حفتر من قيادة الجيش، على رغم صلاحياته الواسعة، وذلك بسبب الصدام الذي يمكن أن يحدث، فضلاً عن عرقلة نقطة توحيد المؤسسات التي ستكون على رأس أولويات الحكومة.

في هذا الوقت، تسود حالة من الترقّب نتائج مفاوضات محوزين مهمّين؛ الأوّل بدأت فعالياته أمس في سرت بين أعضاء اللجنة العسكرية في اجتماع يُفترض أن يستمرّ عدّة

شكّل اختيار السلطة الانتقالية صدمةً في مصر والخليج، لكون قادتها المنتخَبين محسوبين على تيار الإسلام السياسي

أيام لبحث نشر المراقبين الدوليين، إلى جانب آليات سحب المرتزقة من ليبيا وإعادتهم إلى بلادهم، فضلاً عن مسألة فتح الطرق، فيما سيكون على المشاركين في الاجتماع التوافق على تثبيت وقف إطلاق النار بعد الاضطرابات التي حدثت في أعقاب الخلاف حول تمديد مهلة سحب المرتزقة. واضطرّت البعثة الأممية، في الاجتماع السابق، إلى التراجع عن قرار تمديد مهلة إخراج المرتزقة بعد انتهائها الشهر الماضي بموجب الاتفاق الموقع لوقف إطلاق النار في جنيف، مؤكّدة ضرورة الخروج الفوري، من دون أن تحدد أيّ آليات لهذا المطلب، بينما تسود حالة من المماطلة بالنسبة إلى هذه النقطة على وجه التحديد من قِبَل بعض المشاركين في الحوار، أملاً في إرجائها حتى اللحظة الأخيرة، باعتبارها من النقاط المثيرة للجدل وشديدة التعقيد.

أمّا المحور الثاني، فمرتبط بالحلّ الدستوري، والذي سيناقش في الاجتماعات في الغردقة، من أجل تحديد ضوابط إجراء التصويت على التعديلات الدستورية، وعلى أساسها إجراء الانتخابات وسط تفاؤل بسرعة الانتهاء من هذا المسار لاستكمال باقي المسارات الخاصة بتعيين مسؤولي الأجهزة السيادية، وتحديد آليات التعيين وسرعة اعتمادها لإعادة توحيد مؤسسات الدولة. وبحسب مصادر تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن البعثة الأممية تسعى إلى أن تتسلّم الحكومة الجديدة خريطة واضحة من مخرجات هذه الاجتماعات قبل تسلُّم السلطة، لتجنّب تكرار أخطاء «اتفاق الصخيرات»، وما تبعه من أزمات لم تنتهِ حتى اليوم، بحيث تكون الحكومة الجديدة مسؤولة عن تنفيذ تلك المخرجات من دون أن يكون لها حقّ الاعتراض عليها، مع الأخذ في الاعتبار أن قاعدة الإجماع والية توزيع المناصب التي أتت بالسلطة الجديدة، ستتضمّن عدم وجود انفراد في القرارات التي ستحظى باعتراف المجتمع الدولي.

المؤكد أن السلطة الانتقالية الجديدة لن تكون قادرة على الدخول في صدامات مع عدة شخصيات بإقصائها من مناصبها أو حتى مطالبتها بالاستقالة، وخصوصاً أن البعثة الأمميّة التي توفّر غطاءً دولياً للحكومة الجديدة، لن تستطيع حمايتها على أرض الواقع من الخاسرين الذين ستكون أعينهم على الانتخابات المقبلة، أو على الأقلّ ضمان خروج آمن يجنّبهم المحاسبة عن أخطاء الماضي، وهو ما يسعى الجميع الآن إلى صياغته بشكل لا يسبّب حرجاً لأحد، ولا سيما عن فترة الحرب بين «الوفاق» وقوات حفتر. جزء من نجاح السلطة الجديدة سيكون قائماً على طريقة إدارة علاقاتها بالفاعلين الحقيقيين على الأرض؛ صحيح أن رئيس الحكومة يمتلك الكثير من الأموال التي عزّزت صعوده في الحياة السياسية، إلّا أن الجزء الرئيسي في نجاح حكومته، هو نيل الثقة من أعضاء «الملتقى». ويُتوقّع من الرجل أن يراعي التوازنات في تشكيلته الحكومية، وأن يفتح قنوات اتصال، ولا سيما مع مصر والخليج، كونه حصل على دعم من تركيا، حيث يمتلك استثمارات كثيرة.

(الأخبار)

لا يُتوقع أن يكون رئيس مجلس الدولة قادراً على إزاحة خليفة حفتر من قيادة الجيش (أ ف ب)

مقالة

من التنافس إلى الصدام بين القوى العظمى

وليد شرارة

بعدما بات «التنافس بين القوى العظمى» السمة الرئيسيّة للوضع الدولي الراهن، بحسب التقارير الصادرة عن «البنتاغون»، وأبرزها وثيقتا الأمن القومي والدفاع الوطني في 2018، ليس من المستغرب أن يصبح الصدام المباشر بين هذه القوى فرضية مركزية للعسكرية الأميركية والغربية. فالتنافس على النفوذ بين أطراف مهيمنة تتراجع قدراتها، وأخرى صاعدة وطموحة، هو الذي قاد في حالات كثيرة، في التاريخ المعاصر والقديم، إلى صدامات وحروب دامية في ما بينها. رأى البعض أن امتلاك القوى العظمى للسلاح النووي يلغي احتمال المواجهة المباشرة بينها بسبب خطر الإفناء المتبادل الناجم عن استخدامه، غير أن دراسات وأبحاثاً لعسكريين وخبراء أميركيين في الآونة الأخيرة لم تعُد تستبعد مثل هذه المواجهة، وهي تُقدّم توصيات بحكم علاقاتها الاقتصادية الوازنة مع عدد كبير من دول جوارها القريب والبعيد، قدرة على ممارسة ضغط وازن على تلك الدول لحملها على عدم الاندراج في المخططات الأميركية ضدّها.

الحقيقة الأخرى هي أن وجود قواعد أميركية ـ تُستخدم لغايات عدوانية ـ على أراضي الكثير من البلدان الآسيوية وحتى الأوروبية، جويه بمعارضة عارمة في الماضي في أوساط شعوب تلك البلدان، ومن المرجّح أن تتصاعد مثل هذه المعارضة إذا ارتفعت حدّة التوتر بين الولايات المتحدة والقوى الدولية الأخرى لما يستتبعه ذلك من مخاطر على أمن وحياة سكّانها. ينصح الخبيران بتخفيض عدد القواعد التقليدية، مع تعزيز نوعي لقدراتها الدفاعية في مواجهة التهديدات الصاروخية أساساً، وبزيادة أشكال الانتشار العسكري «الهجين» وغير العلني في الكثير من الحالات، وتوسيع رقعته عبر تقديم محفّزات اقتصادية وعسكرية وسياسية «سخية» للدول المستعدّة للقبول به.

الاستعداد لمواجهات نووية، وإعادة تنظيم الانتشار العسكري العالمي وتوسيع رقعته، يندرجان ضمن الخيارات التي تدرسها المؤسّسة العسكرية الأميركية للاحتفاظ بموقع بلادها المهيمن مهما كانت الأثمان. تَبنّيها لهذه الخيارات سيفضي بالضرورة إلى تأجيج التوترات والنزاعات، وإلى امتدادها إلى ساحات ومناطق جديدة، وسيفتح الباب أمام سيناريوات لحروب لم يشهدها العالم في تاريخه المعاصر.

إعادة تنظيم الانتشار العسكري الأميركي وتوسيع رقعته سيفضيان بالضرورة إلى تأجيج التوترات والنزاعات

الانتشار العسكري «الهجين»

استندت السياسة الإمبراطورية الأميركية إلى شبكة قواعد عسكرية عبر العالم (حوالى 600 قاعدة عسكرية كبرى)، لم تمتلك ما يوازيها أيّ قوة إمبراطورية أخرى في التاريخ المعاصر، وأشكال أخرى من الوجود العسكري في عشرات البلدان بناءً على اتفاقيات تمنحها تسهيلات أو باسم التعاون و/أو الحماية. القسم الأكبر من هذه القواعد شُيّد خلال الحرب الباردة، أمّا الأنماط الأخرى من الانتشار العسكري فقد تزايدت في خضمّ ما سُمّي «الحرب على الإرهاب»، وجزء كبير منها غير معلن. لكن النموّ الكبير في القدرات العسكرية والصاروخية، وتحديداً تلك الدقيقة والمُوجَّهة، للقوى الكبرى والمتوسّطة «المنافسة» للولايات المتحدة، بات يُمثّل تهديداً جدّياً للقواعد التقليدية. وبما أن غاية المنافسين هي إبعاد الوجود العسكري الأميركي قدر المستطاع عن جوارهم المباشر البرّي أو البحري، أي بكلام أوضح توسيع مجالهم الحيوي الدفاعي، فإن المؤسسة العسكرية الأميركية ومراكز الدراسات المرتبطة بها تعمل على بلورة خطط ومشاريع لإعادة صياغة الانتشار العسكري العالمي ليتلاءم مع الوقائع المستجدّة. وقد نشر الباحثان، رينانا مايلز جوي من «معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا»، وبريان بلانكينشيب أستاذ العلوم السياسية في جامعة ميامي، على موقع «وور أون ذي روكس»، مقالاً مُخصّصاً لما سَمّياه «مستقبل الانتشار العسكري الأميركي في عالم متنازَع عليه». يرى الخبيران أن أعداء الولايات المتحدة يستخدمون، إضافة إلى التهديد العسكري المباشر للقواعد الأميركية، أدوات كالضغوط الاقتصادية والسياسية على الدول التي «تستضيفها» لدفعها إلى إغلاقها أو لمنع استخدامها ضدّهم في حال نشوب نزاع بينهم وبين الولايات المتحدة. تمتلك الصين مثلاً،

تقرير

أميركا تخشى الخروج المُذلّ: باقون في أفغانستان

لم تحسم الإدارة الأميركية الجديدة بعد خياراتها المتاحة في أفغانستان. وهي إذ تبقي مدفوعة برغبة في تثبيت حضور عسكري دائم تحت عنوان «مكافحة الإرهاب»، إلا أنها تخشى، في حقيقة الأمر، خروجاً مُذلّاً من حربٍ تَبيّن، بعد مضيّ عشرين عاماً، أنها بلا طائل. وما يُزكّي تلك الرغبة، الدعوات المتزايدة من جانب الحلفاء، وحتّى الكونغرس، إلى تأجيل موعد الانسحاب، وربطه، أوّلاً وأساساً، بتبلور اتّفاق سلام بين «طالبان» وحكومة كابول لا يمنح الحركة انتصاراً مجانياً

تبدو إدارة الرئيس الأميركي الجديد، جو بايدن، عازمةً على البقاء في أفغانستان لفترة أطول من تلك المحدّدة في الاتفاق الذي وقّعته «طالبان» مع الإدارة السابقة، خشية أن يُقرأ انسحابها المبكر كـ«انتصار» للحركة. وعلى رغم عدم بلورتها استراتيجية واضحة إزاء حربها المتواصلة، منذ عام 2001، في هذا البلد، إلّا أن «التوصيات» الكثيرة لهذه الإدارة من جانب الحلفاء في «الأطلسي»، أو حتى الكونغرس، كلّها تصبّ في سياق إرجاء الانسحاب المُقرّر في أيار/ مايو المقبل. توصياتٌ يبرز من بينها خصوصاً، تقريرٌ نشرته «مجموعة دراسة أفغانستان»، بتكليفٍ من الكونغرس، يدعو البيت الأبيض إلى التخلّي عن هدف إنهاء أطول الحروب الأميركية، والركون بدلاً من ذلك إلى ضمان «اتفاق سلام مقبول» بين حركة «طالبان» وحكومة كابول. وفي ظلّ سعي الرئيس السابق، دونالد ترامب، إلى إنهاء الوجود العسكري الأميركي في أفغانستان، طلب الكونغرس، في نهاية عام 2019، من «مجموعة دراسة أفغانستان» المؤلّفة من 15 عضواً من الحزبَين الجمهوري والديموقراطي، ويرأسها إضافة إلى رئيس الأركان السابق الجنرال جوزف دانفورد، السناتورة الجمهورية السابقة كيلي أيوتي، والمسؤولة السابقة في «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية» نانسي ليندبورغ، إجراء الدراسة. دراسة رجّحت أن يؤدّي انسحاب عسكري وصفته بـ«غير المسؤول»، إلى حربٍ أهلية جديدة في أفغانستان، وأن «يقود إلى إعادة تشكّل جماعات إرهابية مناهضة للولايات المتحدة يمكن أن تهدّد وطننا»، فضلاً عن أنه سيمنح «طالبان»، سرديّة «نصر على أقوى دولة في العالم». يبيّن تقرير الكونغرس بما لا يدعُ مجالاً للشكّ، أن المساس بهيبة أميركا ومكانتها، يشكّلان الأساس لقلق معدّيه، لا سيّما لدى إشارتهم إلى أن دعم مفاوضات السلام، يعطي الولايات المتحدة «فرصةً لتكريم التضحيات الأميركية وتأمين المصالح الأميركية الأساسية، والإظهار لأعداء هذه الأمّة أنهم لا يستطيعون الانتصار». إزاء ذلك، تصبح أولويّة الإدارة تشجيع التوصّل إلى اتفاق سلام بين «طالبان» وحكومة كابول، لتجنّب منح نصر سهل للحركة. فالقوات الأميركية، تقول الدراسة، تواجه مخاطر أقلّ، لذا يمكنها أن تحافظ على وجود في أفغانستان بهدف الضغط للتوصل إلى اتفاق سلام، في ظلّ معايير انسحاب «سيكون من الصعب، وربّما من المستحيل، أن تتحقّق بحلول أيار/ مايو 2021». وتخلص إلى القول إن «تحقيق الهدف الأكبر، وهو السلام المستقرّ عبر التفاوض الذي يخدم المصالح الأميركية، يجب أن يبدأ بتأمين تمديد للموعد النهائي لشهر أيار/ مايو»، في ردّها على التقرير، تؤكّد وزارة الخارجية الأميركية أن الإدارة لم تتّخذ بعد أيّ قرارات في شأن حجم القوّات في أفغانستان، في انتظار الانتهاء من مراجعة «اتفاق الدوحة» (شباط/ فبراير 2020) وملحقاته التي لم تُكشف للعموم.

سيحدّد اجتماع «الأطلسي» في الـ17 من الشهر الجاري مصير مهمّة «الناتو» في أفغانستان

تتّسق هذه الخلاصة مع رغبة جو بايدن في إبقاء قوّة صغيرة لـ«مكافحة الإرهاب» في أفغانستان، وفي ضرورة التنسيق مع الحلفاء قبل الإقدام على خطوةٍ من هذا الوزن. لكن الحلفاء لا يبدون على عجلةٍ من أمرهم، على رغم إقرارهم بصعوبة المهمّة؛ فها هو الأمين العام لـ«حلف شمال الأطلسي»، ينس ستولتنبرغ، يقول إن على أعضاء «الناتو» أن يقرّروا «معاً» مستقبل مهمّتهم، مع تأكيده أنه «إذا قرّرنا الرحيل، فإنّنا نجازف بتعريض عملية السلام للخطر ونخاطر بفقدان المكاسب التي حقّقناها في الحرب ضدّ الإرهاب الدولي على مدى السنوات الماضية». أمّا «إذا قرّرنا البقاء، فإننا نخاطر بالاستمرار في عملية عسكرية صعبة في أفغانستان، ونخاطر بتزايد العنف ضدّ قوّات الناتو أيضاً». كما يدعو «طالبان» إلى الوفاء بالتزاماتها، «خاصة عندما يتعلّق الأمر بقطع جميع العلاقات مع الإرهابيين الدوليين بما في ذلك (تنظيم) القاعدة، ونحتاج إلى رؤية انخفاض في العنف». وتصبّ الرؤية الألمانية في الاتجاه نفسه، إذ ترفض برلين - كما أعلن وزير خارجيتها، هايكو ماس -، قبل أيّام، انسحاب القوّات الدولية من أفغانستان، قبل إتمام مفاوضات السلام بين «طالبان» والحكومة، والتأكّد من أن الأولى لن تخرج من المحادثات متى تشاء بحثاً عن حلٍ عسكري. ويرى ماس أن هناك ضرورة للتخلّي عن «التمسّك المبالغ فيه بموعد نهاية نيسان/ أبريل (المقبل للانسحاب)، والانتظار حتى تنتهي عملية التفاوض «بنجاح»، مع إقراره بأنها «متعثّرة».

رجّحت دراسة الكونغرس أن يؤدّي انسحاب «غير مسؤول» إلى حربٍ أهلية جديدة في أفغانستان (أ ف ب)

ولحين انعقاد اجتماع «الأطلسي» على مستوى وزراء دفاع الحلف في الـ17 من الشهر الجاري، لمناقشة مصير مهمّة «الناتو» التي يبلغ قوامها عشرة آلاف فرد عسكري (2500 أميركي) في أفغانستان، لن تتّضح الصورة النهائيّة، وسط ترجيحات باتت كلّها تشير إلى أن البقاء قليلاً بعد، ربّما بحفظ ماء الوجه الأميركي، وفي ظلّ إصرار حلفاء واشنطن على عدم الانصياع لرغبات ترامب في الانسحاب، كونه اتّخذ الخطوة منفرداً من دون الرجوع إليهم أو إلى حكومة كابول. في هذا الوقت، ترفض «طالبان» أيّ مساس بخطّها الأحمر، أي الانسحاب الكامل للقوّات الأجنبية في موعده المتّفق عليه، وعدا ذلك ستضطرّ للعودة إلى «الجهاد».

(الأخبار)

تقرير

على نهج ترامب في فنزويلا... العقوبات خيرٌ سلاح

حدّدت إدارة الرئيس الأميركي الجديد، جو بايدن، الاستراتيجية التي تعتزم اتباعها في فنزويلا، وهو ما بيّنته التصريحات المتابعة للمسؤولين الأميركيين إزاء الدولة اللاتينية؛ ابتداءً من تحديد «الثوابت» المُتّوخى تبنّيها، وأبرزها استمرار الاعتراف بزعيم المعارضة، خوان غوايدو، رئيساً انتقالياً لفنزويلا، والإصرار توازياً على استبعاد التفاوض مع حكومة الرئيس نيكولاس مادورو في أيّ وقتٍ قريب. أمّا بالنسبة إلى العقوبات الاقتصادية المفروضة على هذا البلد، فستدخل هي الأخرى ضمن مبدأ «التحرّكات»، التي ستستثمرها واشنطن لانتزاع تنازلات من كاراكاس، في ظلّ عدم وجود نيّة لرفع هذه العقوبات التي كان الرئيس الأسبق، باراك أوباما، قد بدأها، وشدّدها دونالد ترامب، فيما يبدو واضحاً توجّه الإدارة الجديدة، وفق المؤشرات الأولية، إلى استخدامها ضمن هامش المناورة. مؤشراتٌ تُرجمت قبل يومين، بقرار وزارة الخزانة فتح الأجواء الأميركية أمام فنزويلا، وبالتالي السماح لها باستخدام الموانئ والمطارات في البلاد.

القرار الأخير، وإن كان يُعدُّ بادرةً «إيجابية» تجاه فنزويلا، إلّا أنه لا يعدو كونه «استثناءً ظاهرياً»؛ إذ لا يَسمح لهذه الدولة بالتعامل مع الشركات والكيانات في مجالات حيوية مثل الطاقة، والتمويل، والغذاء، والتكنولوجيا، والتجارة، الخاضعة كلها للعقوبات الأميركية. وفي هذا السياق، قال باحثون من معهد «صمويل روبنسون» الفنزويلي، إن ترخيص بعض العمليات الصادر عن وزارة الخزانة هو إجراء «سطحيّ ومتعرّج». وفي تحليلٍ للقرار، نُشر أول من أمس على الموقع الإلكتروني للمعهد، أضاف الخبراء إن «القرار يمنع أيّ تعامل مع كيان عام أو خاص مع مؤسسات تابعة للدولة الفنزويلية». لافتين إلى أن الحكومة في كاراكاس «لم تتوقّف أصلاً عن استخدام هذه البنى التحتية، ضمن استراتيجيّتها للتهرب من الحصار، وذلك بالتحالف مع بعض الشركات والدول الحليفة». وأشار الباحثون إلى أن القرار «لا يغيّر» على أرض الواقع شيئاً لجهة استمرار الحصار الأميركي، مؤكّدين أن واشنطن تريد من خلاله «الخلط بين مثل هذه الإعلانات، والنية الواضحة لإدارة بايدن لإبعاد نفسها عن أساليب الإدارة السابقة». وخلص الباحثون الفنزويليون إلى أنه «لا ينبغي استبعاد احتمال وجود استراتيجية ملتوية من جانب الحكومة الأميركية الجديدة، ما لم يتم تعزيز خطوات واضحة تدلّ على تراجع الضغط على فنزويلا في المستقبل».

واعتمد الباحثون في تحليلهم هذا، على قول وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، في جلسة تثبيت تعيينه في الكونغرس، إن بايدن سيَسعى إلى «استهداف أكثر فعاليّة للعقوبات المفروضة على فنزويلا». وهو الأمر الذي عكسه أيضاً تصريح الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية، نيد برايس - جاء في اليوم نفسه من إعلان فتح الأجواء البرية والجوية الفنزويلية - حول الاستراتيجية الأميركية في هذا البلد؛ إذ أعلن برايس أن الإدارة الجديدة «ستستمرّ» في الاعتراف بغوايدو رئيساً شرعيّاً للبلاد، ولن تتفاوض في الوقت المنظور» مع مادورو، «مع الحفاظ على نهج سياسي في الوقت الحالي مشابه لنهج ترامب»، الذي حظي بدعم الأميركيين من أصول فنزويلية في الولايات المتحدة، وحول إمكانية الحوار مستقبلاً، قال الناطق: «(أنا) أتحدّث عن السياسة الحالية... نحن بالتأكيد لا نتوقّع اتصالاً مع مادورو في الوقت الراهن». وختم بالإشارة إلى أن «الهدف الأسمى لإدارة بايدن ـ هاريس هو دعم انتقال سلمي وديموقراطي في فنزويلا من خلال انتخابات رئاسية وبرلمانية حرّة ونزيهة»، مؤكداً نية الرئيس الأميركي بـ«التعاون أكثر مع عدد من الحلفاء، والشركاء لإحراز تقدم نحو الديموقراطية» في هذا البلد.

إسقاط بروكسل اعترافها بغوايدو رئيساً انتقالياً سيشكّل تحدّياً لسياسة واشنطن في فنزويلا

ويبدو أن البند الأخير الذي تحدّث عنه برايس سيكون التحدي الأبرز للإدارة الجديدة في ما يخصّ خطواتها تجاه كاراكاس، وذلك بعد إسقاط الاتحاد الأوروبي، أخيراً، اعترافه بغوايدو رئيساً انتقالياً، في ظلّ فقدان الأخير منصبه رئيساً للبرلمان جراء الانتخابات التشريعية التي جرت في البلاد أواخر العالم الماضي، واستعاد فيها «الحزب الاشتراكي» السيطرة على البرلمان، آخر معاقل المعارضة. وعلى رغم عدم اعتراف بروكسل بنتائج هذه الانتخابات، إلّا أن وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، كان قد خفّض، في بيان نشره أوائل الشهر الماضي، منصب غوايدو بالنسبة إلى التكتُّل من «رئيس بالوكالة» إلى «أحد الفاعلين السياسيين والمدنيين الذين يسعون جاهدين لإعادة الديموقراطية إلى البلاد».

(الأخبار)

استراحة

كلمات متقاطعة 3662

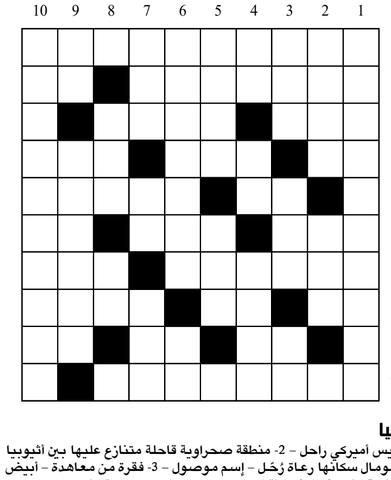

أفقيا

1- رئيس أميركي راحل – 2- منطقة صحراوية قاحلة متنازع عليها بين أثيوبيا والصومال سكانها رعاة رُحّل – إسم موصول – 3- فقرة من معاهدة – أبيض بالأجنبية – 4- حفر البئر – نقض العهد – سكان الصحاري – 5- خبز يابس – مادة متفجرة – 6- حفر الأرض – يُستخرج من الشمندر – هر بالأجنبية – 7- احجيات – تحصل على الشيء مجزومة – 8- بحر – ادرج الميت في الكفن – من الحشرات – 9- صوّت الرصاص – إله – من الحيوانات الأليفة – 10- فنّان وملحن كويتي شهير

عمودياً

1- من علماء الكيمياء العرب عاش في الكوفة – 2- نبيّ ورد إسمه في القرآن – رجل قصير القامة – 3- طيب العيش – مدينة نيجيرية – للتفسير – 4- متشابهان – تزوير في الامتحانات – هزّ الأرض بشدة – 5- خصم شديد – سلاح قديم – 6- مدينة تركية – إله مصري – 7- مختص بكل أنواع الفنون – مقياس مساحة – والدي – 8- تراب الذهب – مرتفع من الأرض – 9- ثرى – عاصمة تاجيكستان – 10- رسّام لبناني راحل إشتهر برسم اللوحات الدينية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- بوغوسلافيا – 2- از – النار – 3- سمندر – البَصْ – 4- فردة – فرنسا – 5- أسي – أحقد – 6- دي – ولي – أفك – 7- ردود – حب – ان – 8- بس – يا – يسرا – 9- يعنّف – رين – 10- رن – التونة

عمودياً

1- يوسف إدريس – 2- مرسيدس – 3- غاندي – ين – 4- وردة – وديع – 5- ال – انا – 6- لا – فحيح – فل – 7- الأرق – بي – 8- فنلندا – سرو – 9- يابس – فارين – 10- أرض الكنانة

sudoku 3662

9		6		4	7	8	1	
4	2		3		6			
				9		3		
2			9		1			8
1				2				5
8			4		5			1
	8			7				
						7	3	
	5	9	2	1		6		4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3661

4	6	9	2	7	1	3	5	8
1	2	7	3	8	5	6	4	9
5	8	3	9	6	4	2	1	7
9	4	2	6	1	3	8	7	5
3	7	5	8	2	9	4	6	1
6	1	8	5	4	7	9	2	3
8	5	4	7	9	6	1	3	2
2	3	1	4	5	8	7	9	6
7	9	6	1	3	2	5	8	4

مشاهير 3662

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

أشهر أمراء الأندلس (771- 822) تولى الحكم وهو في السادسة والعشرين من عمره. أوّل من أنشأ بلاطاً إسلامياً ملكياً ورتّب نظمه ورسومه. لقّب بالحكم الربضي

1+2+6+2+4+7 = المصرف بالأجنبية ■ 9+8+10+5 = جود وكرم وسخاء ■ 11+3 = سخنَ الماء

حل الشبكة الماضية: ساندرو روسيك

إعداد نعوم مسعود

وفيات

زوج الفقيدة كميل مرعي سعاده
بناتها: سغد زوجة سيمون أسعد وعائلتهما
رهان زوجة أنطون منصور وعائلتهما
ماري زوجة ميشال يوسف وعائلتهما
ماري عطا أرملة شقيقها المرحوم الياس عبدالله وأولادها وعائلاتهم
لطيفة كميد أرملة شقيقها المرحوم جرجس عبدالله وأولادها وعائلاتهم
شقيقتها غالية أرملة المرحوم بيار عطا وأولادها وعائلاتهم
حنا موسى زوج شقيقتها المرحومة مرمر وأولاده وعائلاتهم
أحفادها: فكتوريا أسد بولس وعائلتها
صوفيا أسد بولس وعائلتها
نجيب أسد بولس وعائلته
وعموم عائلات سعاده، عبدالله، عطا، أسعد، منصور، يوسف، كميد، موسى، بولس وعموم أهالي بلدتي حصروت وطنبوريت وأنسباؤهم في الوطن والمهجر ينعون إليكم بمزيد الحزن والأسى فقيدتهم الغالية المرحومة
صوفيا موسى عبدالله
المنتقلة إلى رحمته تعالى أمس الجمعة الواقع فيه 5 شباط 2021 متمّمة واجباتها الدينية.
يحتفل بالصلاة لراحة نفسها الساعة الثانية بعد ظهر غد الأحد 7 الجاري أمام مدافن العائلة ـ رعيّة مار عبدا (طنبوريت) حيث توارى الثرى.
إيماناً بتعاليم الكنيسة، وتماشياً مع الإجراءات المتّخذة وحفاظاً على السلامة العامة، عائلة الفقيدة تشكر كل من سيشاركها الصلاة من منزله.
للتعزية الرجاء الاتصال على الأرقام التالية:
كميل: 03/894547
سغد: 0033952045011
رهان: 03/883986
ماري: 0018322828409

زوجته سامره أديب الغريب
ابناه المهندس ميشال زوجته سابين الغريب وابنهما
الان زوجته غريس مصوبع وأولادهما
شقيقه مفيد زوجته عايده عبود وعائلتهما
شقيقته الأستاذة كاتيا أرملة المرحوم الدكتور وليد النجار وأولادها
أعمامه أولاد المرحوم الياس وعائلاتهم
أولاد المرحوم يوسف وعائلاتهم
نهاد أرملة المرحوم سليم وأولادهما
عصام زوجته مارسيل وعائلتهما
عمته عائلة المرحومة دوليسكا صابر
وعموم عائلات الغريب، يمين، مصوبع، الزيات، عبود، النجار، صابر، نوفل، معوض، فلوطي، طرابلسي وعموم اهالي الدامور وأنسباؤهم ينعون بمزيد الحزن فقيدهم الغالي المرحوم
غملان ميشال الغريب
(معين)
يحتفل بالصلاة لراحة نفسه الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر اليوم السبت 6 شباط 2021 في كنيسة مار الياس الحي، الدامور، ثم يوارى في الثرى في مدافن العائلة.
نظراً إلى الظروف الراهنة وحفاظاً على سلامة الجميع نرجو من المحبين صلواتكم لروحه من منازلكم تكفيه والتعازي عبر الهاتف على الأرقام التالية:
سامره : 03/217769
مفيد : 70/380694
كاتيا : 03/780620
ميشال : 00966551639077
الان : 00234905000777

إعلانات رسمية

إعلان تلزيم وتشحيل وتقليم سنديان
تُعلن بلدية المكنونية – جزين عن رغبتها بتلزيم تشحيل وتقليم أشجار سنديان من الحرج العائد للبلدة وقد عيّنت جلسة المزاد الساعة الحادية عشر من نهار السبت 27/2/2021 على الراغبين الاشتراك الإتصال على الرقم 160585/71 لاستلام دفتر الشروط.
رئيس البلدية
جوزف عون

إعلان من نقابة المهندسين – طرابلس
عملاً بالمادة 24 من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمادة 4 – 4 – من النظام الداخلي للنقابة والمواد 8 – 11 و 15 من قانون الصندوق التقاعدي،
وعطفاً على قانون تعليق المهل رقم 160/2020 وتبعاً لقرارات التعبئة العامة، وعطفاً على الظروف الصحية القاهرة التي تمر بها البلاد
تدعى هيئة المندوبين لعقد جلسة استثنائية استكمالاً لجلسة 27/3/2020 في دار النقابة لبحث ما يلي:
- التقرير السنوي الإداري والمالي لكل من مجلس النقابة ولجنة إدارة الصندوق التقاعدي عن عام 2019 – 2020.
- التقرير المالي السنوي عن العام 2019 – 2020 للنقابة وصندوق التقديمات الاجتماعية والبرامج الملحقة به، والصندوق التقاعدي.
- الموافقة على مشروع موازنة النقابة وصندوق التقديمات الاجتماعية والبرامج الملحقة به والصندوق التقاعدي للسنة 2021 – 2022.
- تحديد رسم الانتساب ورسوم الاشتراك السنوي وقيمة الراتب التقاعدي للعام 2021 – 2022.
- تعيين خبير مدقق حسابات.
جلسة أولى: الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة الواقع فيه 20/2/2021.
جلسة ثانية: الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة الواقع فيه 27/2/2021 حيث يكون النصاب قانونياً بمن حضر.
النقيب بسام زيادة

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
الأخبار
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 6 شباط 2021 العدد 4265

رحيل

واحد من نجوم سينما السبعينيات في مصر

عزت العلايلي... ظلّ يمثّل حتى النهاية

القاهرة ــ «الأخبار»

«نرى ما لا نريد، ونريد ما لا نرى. لا وقفنا أمام حقيقة ما نرى، ولا وصلنا إلى سراب ما لا نرى». هكذا يردّد الممثل الراحل عزت العلايلي (15 أيلول/ سبتمبر -1934 5 شباط/ فبراير 2021) على لسان الكاتب «سيد»، إحدى الشخصيتين اللتين لعبهما في فيلم «الاختيار» (1971 ـ مقتبس عن قصة لنجيب محفوظ) للسينمائي الراحل يوسف شاهين.

كان عزت العلايلي يقترب من الأربعين عندما أدّى أول بطولة سينمائية له في «الاختيار»، بعد أكثر من عشر سنوات من لعب الأدوار الثانوية والقصيرة، تكلّلت بمشاركته في فيلم «الأرض» (1970) ليوسف شاهين أيضاً، مع نخبة من كبار ممثلي العصر، ليصبح، بعد هذين الفيلمين، واحداً من نجوم سينما السبعينيات، ويظل منذ ذلك الحين محافظاً على مكانته وحب الناس له على مدار خمسة عقود تقريباً. وكان آخر مظاهر الاحتفاء به خلال الدورة الأخيرة من «مهرجان الاسكندرية السينمائي» التي حملت اسمه، حيث كان محطّ الأنظار وتجمّع الحشود كلما ظهر، بالرغم من ظروف «كوفيد 19» وشروط التباعد الاجتماعي!

على مدار مسيرته الطويلة التي تتجاوز مئة فيلم وعشرات المسلسلات التلفزيونية وعدد من المسلسلات الإذاعية وقليل من المسرحيات، لم يكن العلايلي ذلك النجم الذي يأتون به من أجل زيادة الإيرادات، ولا نستطيع أن نقول إنّه كان «نجم شباك التذاكر» في يوم من الأيام، ولكنه ذلك الممثل القدير، صاحب الحضور الهادئ والأداء الواثق، الذي يعهد إليه بأداء الشخصيات المكتوبة جيداً لرجال أقوياء، يتخللهم ضعف، أو عطف، خفي، يجعلهم دائماً في حالة صراع داخلي، وهو جوهر شخصيته السينمائية التي اكتشفها يوسف شاهين في «الاختيار»، حيث لعب دورَي التوأم الكاتب سيد الانتهازي، وأخيه الصعلوك العاشق للحياة محمود.

من أفضل الأدوار التي أجاد عزت العلايلي أداءها بشكل يحررها من النمط الجاف الذي لحق بها، شخصية المحقق في أفلام مثل «زائر الفجر»، و«على من نطلق الرصاص» و«أهل القمة».

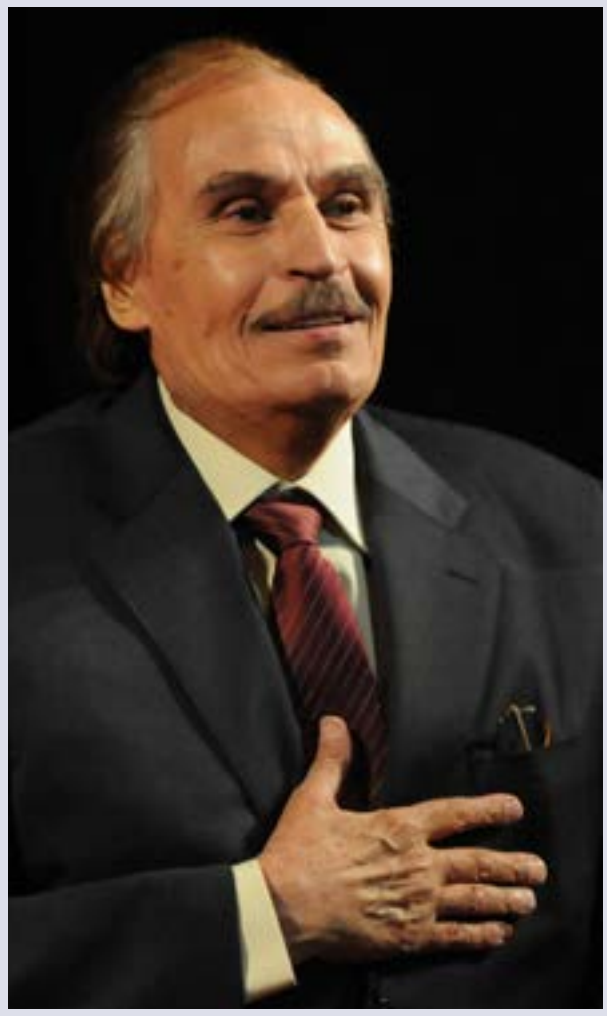
كان من القلائل الذين حافظوا على ملامحهم وقدراتهم التمثيلية ومقاومة عوامل الشيخوخة والمرض (عمرو مراغي ـ أ ف ب)

وبفضل ملامحه المصرية الواضحة، لمع العلايلي بشكل خاص، وربما أكثر من أي ممثل آخر، في دور الفلاح الملتصق بأرضه، المغلوب على أمره، كما في دورَيه في «الأرض» و«المواطن مصري» أو «الطوق والأسورة»، أو دوره في «السقا مات»، حيث لعب شخصية «شوشة» السقا الذي ماتت زوجته، فكره الحياة وبات يخشى كل شيء، وفي الوقت نفسه لعب أدوار الضابط المصري في أعمال «وطنية» مثل «الطريق إلى إيلات» و«بئر الخيانة» و«الكافير».

لكن بالرغم من ملامحه المصرية، فإن لعزت العلايلي مقاييس وجه وجسد عالمية، مثل عمر الشريف، تجعله يصلح للعب شخصيات من جنسيات مختلفة، بالرغم من أن الفرصة لم تسنح له مثلما حدث مع عمر الشريف. ومن يتأمل ملامحه يمكن أن يدهش من قدر التشابه بينه وبين الممثل الأميركي الشهير تشارلز هوستون!

كان الراحل أيضاً من القلائل الذين حافظوا على ملامحهم وقدراتهم التمثيلية ومقاومة عوامل الشيخوخة والمرض، وحتى في أعماله الأخيرة مثل مسلسل «الجماعة» (2010) وفيلم «تراب الماس» (2017)، أو آخر أعماله «قيد عائلي» (2019)، إذ كان يتمتع بحضور وحيوية ملحوظين.

درس عزت العلايلي التمثيل في معهد الفنون المسرحية، حيث تخرج عام 1960، وبدأ حياته الفنية في المسرح، وقد تركت هذه الخلفية تأثيرها على وعيه وثقافته وأسلوب إعداده وأدائه للشخصيات التي يؤديها، أو في أسلوب حديثه عن أعماله والفن بشكل عام. وحتى في أكثر الأعمال تواضعاً و«تفاهة» التي شارك فيها، وهي كثيرة، كان يستطيع عادة أن يعطي للشخصية التي يؤديها كياناً وإيحاءً بوجود عمق خلفها!

وعلى المستوى الشخصي، احتفظ عزت العلايلي بحياة هادئة خالية من «الفضائح» الشخصية أو الفنية، باستثناء مشاركته خلال السبعينيات في الفيلم اللبناني «ذئاب لا تأكل اللحم» (سمير خوري، 1973) الذي يحتوي على مشاهد عري وجنس لم يكن من الممكن عرضها في مصر، لكنه بشكل عام كان يحرص على اختيار الأعمال «الجادة»، حتى لو لم تكن جيدة فنياً في بعض الأحيان.

«باب مصر» مشرّع على التراث المعماري

تدعو منصة «باب مصر» الصحافية التراثية الإلكترونية، يوم الثلاثاء المقبل، الصحافيين والمهتمين بالتراث إلى حضور محاضرة عبر تطبيق «زوم». سيكون النشاط بعنوان «العمارة الإسلامية... التراث الحي»، وستقدّمه هبة صفي الدين (الصورة)، أستاذة العمارة والتصميم العمراني في «جامعة مصر الدولية»، ومديرة «بيت المعمار المصري» (المركز الإبداعي) وبرنامج «العمارة والأطفال» في الاتحاد الدولي للمعماريين، علماً بأنّه في رصيد المتحدّثة أيضاً العديد من المؤلفات في مجال تخصصها، من بينها «القاهرة... خواطر عمرانية» و«التعليم المعماري: البداية».

محاضرة «العمارة الإسلامية... التراث الحي»: الثلاثاء 9 شباط ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم». (للاستعلام: info@babmsr.com)

لقاء افتراضي مع فاطمة المُحبّ

في إطار «طبع في القدس: مُستَقْلون جدد» وعبر صفحاته على السوشال ميديا، ينظّم «المتحف الفلسطيني»، في 17 شباط (فبراير) الحالي، لقاء «استكشاف المجموعات والأعمال الفنيّة عن قرب» المخصص لفاطمة المُحبّ (1927 - 2006/ الصورة) والذي يتحدّث فيه جورج الأعمى. وُلدت الفنانة التشكيلية الفلسطينية في حيّ الشاويش في القدس، وتركت أثراً مهماً في البيئة البصرية الفلسطينية، إذ رسمت العديد من اللوحات التي عبّرت عن تأثّرها بالمشاهد الطبيعية المحيطة بها، وتخيّلت قصصاً تاريخية ورسمت شخصياتها في الكتب المدرسيّة التي طبعت في القدس. كما صمّمت مواد دعائية سياحية وتعليمية ضمن عملها في وزارتي التربية والتعليم والسياحة الأردنيتين.

*الأربعاء 17 شباط ـ س: 18:00 ـ صفحات «المتحف الفلسطيني» على مواقع التواصل الاجتماعي.

سوزان لورد: سينما الثورة الكوبية

ضمن سلسلة «عن السينما والثورة» التي تمتدّ إلى آذار (مارس) 2021، يدعو «مركز خليل السكاكيني الثقافي»، يوم الثلاثاء المقبل، إلى حضور حديث افتراضي مع أستاذة السينما والإعلام ومديرة مختبر الوسائط في «جامعة كوينز» الكندية، سوزان لورد (الصورة). في اللقاء المرتقب عبر تطبيق «زوم»، ستركّز سوزان على قضايا العرق والثورة وأشكال الكوسموبوليتية التي حرّكت هافانا في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته، قبل أن تنتهي بمناقشة «مؤتمر هافانا الثقافي» عام 1968. تعمل لورد أيضاً محرّرة مع «كاريداد كومانا»، وتقوم حالياً برقمنة الأفلام الوثائقية العائدة للرسامة والصحافية والسيناريست والمخرجة الكوبية سارة غوميز، كما تتعاون مع زملائها في الأميركيَتَيْن لرقمنة التاريخ السمعي والبصري وحفظه. إلى جانب ذلك، تبني لورد أرشيفاً على الإنترنت تحت اسم «فيوتشر/ هافانا»، علماً بأنّ أرشيفات «فيوتشر» تحتوي على أكثر من 2000 مادة رقمية من الستينيات في هافانا.

حديث مع سوزان لورد: الثلاثاء 9 شباط (فبراير) الحالي ـ الساعة السادسة مساءً بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم». (رابط التسجيل على موقعنا)

«أوان الثورة» في بيت جبرا

تُعرض اليوم السبت عبر قناتَي «العراقية» (س: 19:00) العامة و«العراقية» الإخبارية حلقة جديدة من برنامج «أوان الثقافة» (إعداد حسام السراي، تقديم فيفيان غانم). وفيها، استطلاع لما بقي من بيت الأديب الراحل جبرا إبراهيم جبرا في شارع الأميرات في بغداد. كما يجيب الجمهور عن سؤال: هل أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في التعريف بالكتّاب والفنانين والترويج لنتاجاتهم؟ في فقرة «مواهب»، يطل عازف الإيقاع حسين الحربي، فيما تشمل فقرة «حصاد» تعليقاً على اختيار المسرحي كريم رشيد في مجلس الثقافة والفنون السويدي. وهناك أيضاً إشارة إلى جلسة على zoom نظّمتها كلية الفنون الجميلة في «جامعة القادسية» للفنان وفاء بلال (الصورة). وفي «ذاكرة غلاف»، إضاءة على «حصيد الرحى»، أوّل مجموعة قصصية للروائي غائب طعمة فرمان.

الأخبار
al-akhbar

السبت 6 شباط 2021
العدد 4265 السنة الخامسة عشرة
Samedi 6 Fevrier 2021 nº 4265 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فلاديمير نابوكوف
لعنة «لوليتا»

بالتزامن مع النقاشات المستجدّة لحركة «مي تو» في العالم، أعيدت رواية «لوليتا» لفلاديمير نابوكوف (1899-1977) مراراً إلى السنوات الأولى لنشرها، إذ جعلت هذه السجالات الرواية الملعونة، كما يتفق على تسميتها كثيرون، تتسمّر مجدّداً في هيأتها الأولى حينما واجهت الرفض من قبل دور النشر، ثم قرارات المنع في دول عديدة من العالم، منها فرنسا التي نشرتها سنة 1955، قبل أن تمنعها لسنتين حتى أفرج عنها مجدّداً سنة 1958. قراءات كثيرة جرت في السنوات الأخيرة، تتساءل عمّا إذا كانت الرواية مجرّد قصّة حب أدبية، أم أن اعترافات الرجل الثلاثيني همبرت همبرت تأتي بمثابة تبرير للبيدوفيليا والتحرّش الجنسي بالطفلة دولوريس، بعضها ما يرمي إلى تحييد الرواية عن أي نقد أدبي مقابل حصرها بقيمتها الأخلاقية. ما أدين أكثر من غيره في هذه الحملات، هو خيار نابوكوف الفني بتسليم دفّة السرد بأكملها لهمبرت من دون أن يفسح المجال، في أي من فصول الرواية، إلى الطفلة ذات الـ 12 عاماً وهواجسها. خيار فني، دعا القرّاء مراراً إلى تصويب الاتهامات إلى العمل من منطلق الخلط بين صوت البطل وحياة فلاديمير نابوكوف نفسه، ولو أنه اضطرّ إلى الإيضاح أنه لا يستند إلى تجربة حقيقية، بل عمل على تطويع كل قدراته الكتابية من أجل أن تكون روايته مقنعة.

أخيراً، عاد الروائي الروسي إلى الواجهة في فرنسا بعدما قرّرت دار La Pléiade نشر القسم الثالث من المجموعة الكاملة. إذ يأتي الإصدار في لحظة مثيرة تواجه فيها فرنسا فضائح جنسية متعلّقة بحالات سفاح القربى والتحرّش بالأطفال. جدل أثارته المحامية الفرنسية كامي كوشنير بنشرها مؤلّفاً جديداً بعنوان «العائلة الكبيرة» تتهم فيه زوج والدتها الأكاديمي والباحث السياسي الشهير أوليفييه دوهاميل بالتحرّش بشقيقها فيكتور. هذه الفضيحة العائلية التي دفعت دوهاميل إلى الاستقالة من جميع مناصبه، لاقت صدى واسعاً في فرنسا، إذ جاءت كوثيقة عن الجانب القاتم للنخب المثقفة في باريس في ما يتعلّق بسفاح القربى، حيث انتشر في الأسابيع الأخيرة وسم على وسائل التواصل الاجتماعي: #MeTooInceste يركّز على قضية سفاح القربى. في هذا الجو السائد، أثارت خطوة الدار الفرنسية باستكمال نشر أعمال نابوكوف جدلاً واستنكاراً، ولو أن الجزء المنشور يضمّ روايته «آدا، أو الوهج: سجل عائلة»، وليس «لوليتا» التي ظلمت الكثير من أعمال وروايات نابوكوف الأخرى. أما عربياً، فتعتزم «منشورات الجمل» إصدار رواية «النار الشاحبة» (ترجمة محمد جليد) لنابوكوف، بعدما كانت قد أصدرت مذكّراته «تكلّمي أيتها الذكريات» (1951 - ترجمة حنان يمق)، وروايات «لوليتا» (ترجمة: خالد جبيلي)، و«آدا، أو الوهج» و«حياة سبستيان نايت الحقيقية» (ترجمة حنان يمق).

حوار

حواريّة مع المتنبّي وسيرة متقاطعة مع «المومياء»

يوسف رخا: لست معنياً بإحياء التراث ولا أفهم تقديسه!

يصدر الكاتب المصري يوسف رخا (1976) قريباً عملين: الأول «ولكن قلبي: متنبّي الألفية الثالثة»، الذي يتصدّر غلافه وصفحاته لوحات الفنان وليد طاهر. في هذا الكتاب، يواصل رخا تجربته الأدبية المعتمدة على صياغة تجربة شخصية متفرّدة متصلة بالتراث الأدبي العربي، خاصة باعتباره يجيب على سؤال الهُوية المشغول بهاركا. الكتاب الثاني هو «براوزمان» الذي يصدر باللغة الإنكليزية عن دار «بالغراف ماكميلان» بمقدمة الأكاديمي نزار أندري. يكتب رخا هنا سيرة شخصية متقاطعة مع فيلم «المومياء» بطريقة المقاطع المرقّمة كما في الطغرى. من خلال كتابة أدبية عن فيلم «المومياء»، يسعى رخا إلى فهم الحداثة المصرية في تلك المرحلة، فيكتب عن الوطنية، والحزن، والجمال البصري، والإنتروبيا السياسية، والاستعمار والجنس. يجرّب رخا نفسه في جميع الألوان الأدبية. فهو قد أصدر في الماضي ديوانين شعريين («يظهر هلال» – نشر أونلاين ـ «كل أماكننا» دار رياض الريس)، كما ثلاث روايات هي «الطغرى» (الشروق)، «التماسيح» (الساقي)، و«باولو» (التنوير)، كما ثلاثة كتب عن الأماكن: بيروت وتونس والقاهرة. وراشح كتابه «شي محل» لجائزة الريبورتاج الأدبي «ليتر يوليسيز» عام 2006. بالإضافة إلى رواية كُتبت بالإنكليزية بالكامل تنتظر ناشرها، والكتابين الصادرين هذا العام. لا ينقطع هذا النهم للتجريب عند رخا، ويمتد الى وسائط أخرى كما التدوين وانشاء مدونته «ختم السلطان» التي تُعد منصة مفتوحة للإبداع، وإعطاء ورش الكتابة واستخدام اليوتيوب لفتح حوارات ثرية حول الادب والاسئلة الثقافية المطروحة حالياً.

تقديم وحوار هدى عمران

■ لماذا تكتب «شعر/ سرد» على كتاب المتنبّي؟

ـ على الكتاب عبارة «شعر/ سرد» لأنه قسمان: الأول عبارة عن عشرين قصيدة نثر. كل قصيدة بمثابة ردّ على بيت للمتنبي أو ترجمة له عبر الزمن. الثاني نصّ سردي شخصي عن الفترة التي كُتبت فيها هذه القصائد والظروف المحيطة بكتابتها. كانت الفكرة الأولى كتابة مقالات نقدية قصيرة بالتوازي مع القصائد، لكني استعضت عن ذلك بنص واحد طويل نسبياً وبسيط جداً في لغته وصياغته على عكس القصائد نفسها. إنه حول ملابسات علاقتي بالمتنبي وما أسفر عنه لقاؤنا وما تشير إليه النصوص. لذلك غيّرت عبارة «شعر/ نثر» إلى «شعر/ سرد». وكنت متحمّساً جداً لكتابة هذا النص بعدما انتهيت من القصائد، لأنه أيضاً طبعاً عن حياتي والتحول الذي حصل معي بعد الأربعين وعن الغرام والموت والكتابة. أليس كل شيء نكتبه عن هذه الأشياء وعن الذات؟

■ من أي نقطة بدأت الكتابة عن كتاب «المتنبي»؟ ما الخطة التي رسمتها لنفسك؟ وإلى ماذا انتهيت؟

ـ لم تكن هناك خطة بهذا المعنى. كل ما في الأمر أني قررت أن أقرأ ديوان المتنبي بشكل جدي. وعندما انغمست في القراءة تأثرت ببعض الأبيات إلى درجة التماهي معها شعرياً. حدث هذا مرتين أو ثلاثاً قبل أن أستشعر باحتمال إنجاز متتالية أو كتاب.

■ هل تشعر بندّية مع المتنبي؟ ولماذا؟

ـ ليست هناك ندية ولا سؤال عن الندية. ربما المطروح هو وعي الشاعر. ماذا يبقى من وعي الشاعر لو انمحى الظرف التاريخي المحيط بكتابة الشعر. أشعر أن هذه النصوص لقاء مع تراث المتنبي. إنها تستدعيه وتغازله وتؤوّله وتدحضه أيضاً، لكنها في النهاية قصائد نثر عن حياة كاتب موجود هنا الآن. لا مجال للمقارنة لكن هناك مساحة، عبر الشعر، للحوار.

أظن أن الكتاب من هذه الناحية محاولة للإجابة عن سؤال ما هو الشعر، وأنا مشغول بهذا السؤال المستحيل منذ بدأت أكتب. إنه موجود في رواية «التماسيح» حيث تُطرح فكرة أن الشعر – وهو في ذلك أشبه بالصمت أو السر – خطاب حر، أو الخطاب الوحيد الذي يمكن أن تكون له سيادة في مقابل خطابات مُستغفرة من جانب المكان والزمن إن لم يكن الأيديولوجيا أو القناعة، خطابات منبطحة لـ «المعنى». على عكس الكليشيه والنكتة والشعار، الشعر أو الأدب هو الخطاب الذي يجعل من اللغة وجوداً أو حضوراً أقوى وأوسع من الشرط المادي أو اللحظة التاريخية أو حتى حدود الكاتب.

■ لافتة علاقتك باللغة، هل تستخدمها نوعاً من استدعاء التراث؟ وهل أنت مهتم بفكرة «إحياء التراث»؟

ـ بالنسبة إلي تظل اللغة خامة متغيّرة لها صفات تؤثر في شكل الكتابة. في نصوص المدن العربية مثلاً، كنت أستدعي لهجة المكان الذي أكتب عنه. في كتاب «الطغرى»، كنت أحاكي العربية الوسيطة التي كتب بها الجبرتي وابن إياس، كما أقدّم صورة بانورامية واسعة عن كل «عربيات» القاهرة المحتملة. في «التماسيح»، كنت أستدعي لغة قصيدة النثر التسعينية. وفي «باولو»، أتحاور مع لغة المدونات. «ولكن قلبي» هو أول محاولة لمقاربة «اللغة العالية» كما يسمونها أحياناً. أقصد الكتابة بعربية وإن كانت معاصرة وتضمّنت ألفاظاً أجنبية وصياغات معاصرة تخلل خالية تماماً من اللحن والخطأ، ونموذجها هو ذروة النهضة الأدبية في العصر العباسي. إنها خامة جميلة وإن كانت صعبة. لكنني اتعلّم العربية من جديد.

ليس عندي تفسير واضح لهذا التركيز على اللغة إلا ربما كون علاقتي بلغتيّ – العربية والإنكليزية – شبيهاً مركباً ومتداخلاً منذ الصغر، وكوني من ثم واعياً جداً لاختلاف الكلام عن النص المكتوب، لكن أظن أن اللغة هي نفسها الكتابة بمعان كثيرة، هل يمكن أن يكتب أحد ولا يهتم باللغة على مستوى ما؟ وكيف يتذوق إنسان نصاً لا ينتبه إلى لغته؟

■ لديك ثنائية الحداثة/ التراث، في أكثر من مشروع، هل هذا سؤالك الدائم في الأدب؟

ـ يبدو أن هذه سمعة التصقت باسمي. أنا لا أمانع ذلك، لكن أريد أن يهتم الناس بمحتوى ما أكتبه وأدبيته الأوسع أيضاً. يبدو لي بديهياً أن تكون اللغة عاملاً أساسياً بالذات في زمن الوسائط السمعية البصرية حيث هناك وسائل أنجع لحكي حكاية مثلاً أو عرض موضوع. أظن أن الإبداع في التعامل مع اللغة هو جزء من عملية الكتابة في كل الحالات، لكن في بعض الحالات عندي ربما يأخذ حيزاً أكبر. على أي حال، أنا أكتب الآن شيئاً أحاول من خلاله أن أتجاوز موضوع اللغة تماماً على أمل الوصول إلى مكان يكون السرد فيه هو المحرّك الأول. لست معنياً بإحياء التراث ولا أفهم تقديسه. أعتقد أني معني بالهوية وهناك جوانب من التراث تغذّي استدعاء، التراث ووضعه على طاولة شخصية كما حدث في «الطغرى»؟

ـ المتنبي بالنسبة إليّ، يكاد يكون عكس إحياء التراث. كل الفكرة في التماهي معه من مكاني هنا الآن، واختبار تصوري أنه فعلاً صالح لذلك.

■ كتبت عن بيروت، تونس والقاهرة، ما الذي دفعك للكتابة عن هذه الأماكن بالذات؟ وهل كتابتك عن بيروت وتونس هي كتابة عن القاهرة بشكل ما؟ هل ذلك صحيح؟ كيف؟

ـ كنت أتفادى صيغة الرواية وأتفادى القاهرة وكنت مشغولاً بالهوية، فكتبت عن المدن العربية مستعيناً بزيارات قصيرة وبحث طويل. كنت أوظف اليات الصحافة لأغراض أدبية، وأمزج الشعر بالسرد والتنظير. ولعل كتب الأماكن هذه كانت أحد التجليات المبكرة لموضة الـ creative nonfiction المنتشرة اليوم بالعربية. في الكتابة عن مدن مثل بيروت وتونس، كانت القاهرة دائماً هي المرجعية التي أتحرك من عندها وأعود إليها. لذلك أظن أني وأنا أتكلم عن هذه المدن التي لا أعرفها ولا تعنيني بالقدر نفسه – وكل كلامي مقارنات ومواءمات على أي حال – كنت أتكلم بشكل ملتو عن القاهرة أيضاً... إلى أن واجهتها ورضخت لبعض معطيات الشكل الروائي في «الطغرى».

■ كتبت عن أكثر من مكان، كيف ترى «المكان» وموقعه في الأدب جغرافياً أو سياسياً أو ثقافياً؟

أعتقد أن الأدب كله في النهاية يتحدث عن أحد شيئين: إما المكان أو الزمن. الأدب يتحدث عن الوضع الإنساني وعن الحب والموت طبعاً، لكنه يفعل ذلك عبر أحد شيئين. أعتقد أنّ «الطغرى» مثلاً كتابة مكان، لكن التماسيح كتابة زمن. وربما يكون هذا ميلي الروائي عموماً. كتابتي لا يعنيها المحيط الاجتماعي والثقافي بقدر ما تعنيها خبرة مرور الوقت على المستويين اللحظي والتاريخي وما تفعله هذه الخبرة في الوعي. ماذا يعني أن يكون الواحد موجوداً في لحظة معينة، ثم موجوداً في لحظة أخرى؟ أين كيانه أو حقيقته من اللحظتين؟ وحين نتكلم عن إنسان أو شخصية، هل نتكلم عن شيء غير هذه اللحظات ونقيم خارجها أم أننا نتكلم عما يتكوّن نتيجة اختلاط بعضها ببعض؟

■ رجوعاً إلى اللغة، لماذا تكتب باللغة الإنكليزية؟ هل هي نوع من الخروج العنيف عن المصرية التي تسكنك؟

ـ جزء كبير من عملي في الصحافة الثقافية وحولها كان دائماً بالإنكليزية. كان تعليمي كله والجزء الأكبر من قراءتي بالإنكليزية. ولم يكن عندي موقف ضد الكتابة الأدبية بها، إلى جانب العربية. عندما توافرت مساحة لفعل ذلك فعلته، وعندما شعرت أني جاهز نفسياً، غامرت بإنجاز رواية كبيرة أحاول أن أنشرها الآن. لا يمكن الخروج على «مصريتي»، لكن الإنكليزية – إنكليزيتي على الأقل – جزء جوهري من هذه المصرية. لا أحسها ضد هويتي أو في مواجهة معها بأي شكل. عموماً أنا في صدد كتابة ورقة عما الموضوع ساتعامل معه فيها من منظور ما بعد استعماري، أقصد أني سأطرح سؤال الثقافة السائدة في العالم ولغتها وعلاقة ابن ثقافة مندثرة بها أو مكانه منها. لذلك فالسؤال مطروح فعلاً على أكثر من صعيد.

■ حدّثنا عن الرواية التي كتبتها باللغة الإنكليزية، وإلى أين مصيرها حالياً؟

ـ لا أعرف ماذا سيكون مصير روايتي الأولى (وربما الوحيدة) بالإنكليزية. لديّ وكيل أدبي في كندا يسعى إلى بيعها، وقد أرسلتها إلى عدد من الأصدقاء في أنحاء العالم. ربما يستغرق إيجاد ناشر مناسب وقتاً طويلاً، وربما أفكر في حلول بديلة أو أقرر أن أبقيها مخطوطة في حوزة عدد محدود من الناس. فعلاً لا أدري، وليس الأمر في يدي. ولا أظن له علاقة بجودتها من الناحية الأدبية، الذي أريد أن أقوله في هذا السياق أني أحبطتُ في الأوساط الأدبية الأميركية والبريطانية، حيث أيديولوجيا الهوية المقهورة تسيطر على كل شيء. كنت أظن أني سأجد هناك مزيداً من الحرية والتنوع وقد يكون هذا حقيقياً على السطح بشكل ما، لكن الواقع أن سطوة البيع والشراء من جهة والتعامل مع الأدب باعتباره مادة دعائية لقضايا هوياتية ضيقة إن لم تكن استهلاكية من جهة أخرى، قد أديا إلى اقتصار المجال على أنماط كتابة بعينها. هناك استثناءات ولكنها قليلة ومعظمها يعود إلى أزمنة سابقة. والأجواء تبدو لي استغلالية ووصولية إلى أبعد حد. لا أريد أن أتكلم عن محتوى الرواية أو أخوض في شكلها، لكنها من وجهة نظر امرأة من عمر أمي، وهي مهداة إلى أمي. وتتعامل مع الربيع العربي وتاريخ مصر الحديث من خلال حياة هذه المرأة في فترتين زمنيتين هما 1956-1989 و2011-2015 في القاهرة. لم أستطع أن أكتب من وجهة نظر امرأة حتى قررت أن أخوض تجربة كتابة رواية كاملة بالإنكليزية وأنا أفكر في حياة أمي.

■ هل حرّك هذا الكتاب سؤالك حول الزمن؟ وكيف ترى الزمن؟

ـ هناك نظرية أن الزمن خدعة، مجرد آلية بيولوجية تساعد الذبيبات على التعامل. لكن الزمن موضوع مهم جداً بالنسبة إليّ. ليس كمساحة أتطلع إليها ولكن كخبرة متغيرة وسحرية يمكن التعبير عنها بالكلام. ماذا يعني أن نكون في الزمن: أظن أن هذه هي تيمتي الكبرى ككاتب.

■ هل تعتقد أنّ «المومياء» فيلم ديني؟

ـ لا أعتقد أنّ «المومياء» فيلم ديني لكن أظن أن أسئلة الوجود تتقاطع مع الأسئلة الغيبية على تنوعها، وبهذا المعنى يمكن القول إن «المومياء» هو فعلاً عمل رؤيوي. هذا أحد جوانب تفاعلي معه في هذا النص على أي حال، ليس فقط من خلال ما يطرحه من عقائد مصرية قديمة ولكن أيضاً نتيجة هوس شادي عبد السلام بفكرة الهوية المصرية كشيء قادر على تجاوز اللغة والزمن، شيء خارج التاريخ وأقوى منه. أنا لا أؤمن بهذه الفكرة لكني تفاعلتُ معها.

■ لماذا استخدمت «المومياء» مدخلاً لكتابة سيرة شخصية موازية؟

ـ لم أكتب سيرة شخصية فقط. كتبت سيرة وتاريخاً وبحثاً ونقداً من داخل خبرة مشاهدة الفيلم. أظنّ «المومياء» مدخلاً رائعاً للكتابة عن «المصرية» التي ذُكرت في سياق المتنبي. لكن ليس للأمر صلة مباشرة بعلاقتي بالسينما.

■ هل كتاب شادي عبد السلام رحلة خضتها لكشف علاقتك المركبة مع السينما؟

ـ ليس مع السينما عموماً ولكن مع هذا الفيلم.

■ كيف هي علاقتك بالسينما كوسيط فني؟

ـ أنا لست مهووساً بالسينما، لست cinephile مثل مصطفى ذكري مثلاً أو بعض الأصدقاء الذين لا يمضون يومين من دون أن يشاهدوا فيلماً واحداً على الأقل، ويتحمسون للأحداث والأخبار السينمائية مثل مشجّعي كرة القدم. لكن السينما شيء أساسي في حياتي وفهمي للحياة ومعمار الحكي والجمال. لا يمكن إنكار ذلك. أتمنى أن أتعاون مع مخرجين لإنجاز أفلام واحياناً أحلم بالإخراج أيضاً وإن كان ذلك صعباً من الناحية العملية. الآن هناك محاولة تعاون مع مخرج شاب فعلاً. فالسينما حاضرة دائماً بصرياً وسردياً، وهي حاضرة – حتى في أسوأ حالاتها – بشكل إيجابي يدفع إلى التفكير النقدي ويحرّض على الإبداع والتفرّد. أظن أن هذا عكس السوشال ميديا تماماً. إذا كانت السوشال ميديا وهماً، فالسينما خيال. الفرق كبير. في السوشال ميديا، عقلية القطيع والتفكير الأحادي والهوس برد الفعل اللحظي المباشر. أما في فيلم يشاهده الفرد ويربطه بأشياء تهمه، فيمكن أن يكون هناك نص أدبي كامل.

■ حدّثنا عن تجربة هجر الفايسبوك، ما فلسفتك؟

ـ كانت عندي تجربة طويلة نوعاً ما مع فايسبوك، وقد توازت مع انخراطي في احتجاجات 2011 من ناحية وفي دوائر المثقفين المصرية من ناحية ثانية. كان فايسبوك هو الملتقى والمقر، وكان يؤدي دوراً فعّالاً في اتصال الناس بعضهم ببعض. لكن الحقيقة أنه، وبالنظر إلى ما أسفرت عنه الاحتجاجات وتعامل المثقفين معه، تبين لي بسرعة زيف

> **أحبطتُ في النشر من الأوساط الأدبية الأميركية والبريطانية حيث أيديولوجيا الهوية المقهورة تسيطر على كل شيء**

ولا جدوى هذه التفاعلات. خلال سنتين أو ثلاث، رأيت الفضاء الافتراضي يتحول من مساحة اتصال وتفاعل مفتوحة على آفاق واحتمالات واسعة وبعيدة إلى سجن ذهني يعكس كل حدود ومشاكل ومظالم الواقع، وشعرتُ بغربة مؤلمة حقيقة عن محيطي. لا شك في أن الثورة أبرزت كل ذلك وبمعنى ما استعرضته، لكن الذي اكتشفته أيضاً أن الثورة أو هزيمتها لم تكن سببه بقدر ما كانت نتيجته. ربما للمرة الأولى منذ سنة 2005، حين رجعت إلى الكتابة بعد انقطاع ست سنين، أدركت أني لست طرفاً في أي وسط أو تجمع، لأنه بات واضحاً أن هذه الأوساط والتجمعات لا تحمل أملاً في أي تغيير حقيقي. بات عندي فهم مختلف قليلاً لفكرة التحقق، وشعرتُ أنني وإن كنت منزعجاً من السياق العام أو محبطاً في ردود الفعل، عليّ أن أتذكر دائماً أن الكتابة مجرد تفاعل فردي وحوار بين النصوص واستمتاع باللغة وما يمكن أن تصنعه. كان البعد عن فايسبوك ضرورياً لإدراك ذلك، فضلاً عن كون ذلك أراح أعصابي فعلاً ووفّر لي وقتاً وجهداً مهدرين وساعد في أن أرى الواقع ومكاني منه بصورة أوضح.

■ حدّثنا عن تجربة مدونة «ختم السلطان»؟

ـ في الفترة نفسها التي هجرت فيها الفايسبوك، حوّلت مدونتي الشخصية إلى مساحة جماعية غير ملزمة أصبحت مكاناً حيوياً لنشر الأدب. أدركت أن الواحد عندما يقدّم نصوصاً مكتوبة بتأنٍ ومراجعة ومطروحة كمادة للقراءة في الفضاء العام وليس للدعاية والتلاسن في فضاء ملتبس دائماً بين العام والخاص، ففي ذلك حد أدنى من احترام الغير ودفعه في اتجاه حوار حقيقي أجدى وأبقى بكثير مما يحدث على فايسبوك.

■ وما هي تجربتك مع الورش الأدبية؟ ما أهم منجز تخرج منه مع تفاعلك مع جيل آخر؟

ـ أدير ورش الكتابة بالروح والسياق نفسيهما. أملي أن تتوافر مساحة تفاعل وحوار غير محكومة بالأهواء الشخصية والولاءات القسرية التي تُفرض على الناس. وهذا أهم ما أستفيده من اللقاء المنتظم بكتّاب آخرين ليسوا دائماً أصغر سناً ولا أقل خبرة، ولكنهم في حالة تسمح بعرض أعمالهم على آخرين بهدف الذهاب بها إلى مكان أبعد: أني أشعر بوجود فضاء حيوي وصادق لإنتاج وتداول الأدب بنزاهة تامة وبلا أوهام داخل الواقع الفعلي.

■ تحب الكتابة خارج التصنيفات، كيف ترى الإنجاز المصري الأدبي حالياً؟

ـ هذا سؤال كبير وردّي الصادق أني لا أعرف. هناك أشياء جميلة غير محتفى بها إجمالاً. أذكر على سبيل المثال شعر مهاب نصر وأحمد يماني. وهناك حركة حقيقية منفتحة على العالم تتخلّق عبر مواقع مثل «ختم السلطان» ومبادرات شبيهة. لكن ماذا يعني كل هذا وبمَ ينبئ؟ سياسياً واجتماعياً وثقافياً، يظل الواقع أردأ من أن يكون للأدب صدى في أرجائه. وهذا صحيح أينما ذهب الواحد في العالم اليوم. لذلك أعتقد أن المنجز الحقيقي سيكون في تكوين ودعم مساحات قراءة وحوار غير مشروطة بأي شكل، والبعد بهذه المساحات قدر الإمكان عن المنطق الاستهلاكي ومصارع الرأسمالية.

يوسف رخا: المنجز الحقيقي يكون في تكوين مساحات قراءة وحوار والابتعاد بها عن المنطق الاستهلاكي ومصارع الرأسمالية

> **المتنبّي بالنسبة إليّ، يكاد يكون عكس إحياء التراث. كل الفكرة في التماهي معه من مكاني هنا الآن، واختبار تصوري أنه فعلاً صالح لذلك**

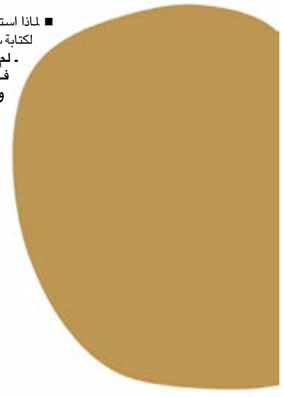

ترجمة

تشارلز بوكوفسكي: ثلاث قصائد

ترجمة **زياد حسّون**

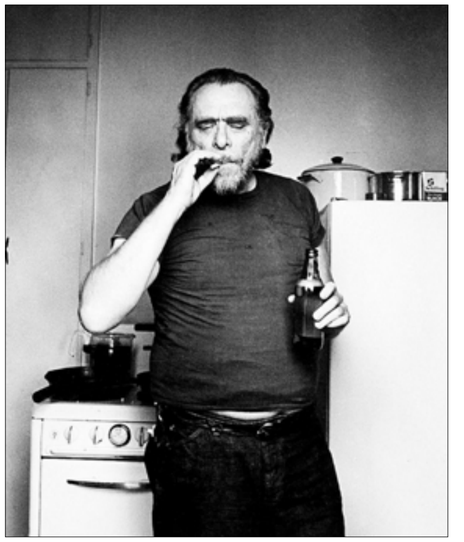

قادرة على العمل

1) إذا سمحتَ لهم بقتلك، فسوف يفعلون

كان فليتشر كالم في الخصيتين، لم يتوقّف يوماً عن إخباري كم هو ذكيّ.
ربّما ما كنتُ لأترك العمل أبداً لولا فليتشر.
كانت نوبة عمل فليشتر تبدأ بعد ساعتين من نوبتي، وحين يدخل سيبدأ كل الصبية في المهمهة والضحك:
«هيه، هناك، ها قد جاء صاحبك فليتشر!»
كان الأمر على الشاكلة نفسها تقريباً كلّ ليلة: هو «ذكيّ»،
أحبّثّة النساء وقد تمكّن حقّاً من «ممارسة الجنس».
كنتُ في هذه الأثناء أعيش مع امرأةٍ خائنة ومدمنة كحول
وفيما تعاقبت الليالي لتصبح أعواماً
فليتشر كان لا يزال هناك. أصبح جسدي بالكامل كتلة أعصاب مشدودة، كنتُ عاجزاً عن تحريك رأسي، وإذا المستَني فجأةً
ستضرب عبر جسدي
صواعق من الألم كتيارٍ عالي التوتر

كنتُ أكلّ بشكلٍ سيّئ
أنام قليلاً جدّاً، أشربُ
كثيراً، مجبَراً
على تحمُّلِ تلك العاهرة مجنونة الوسكي.

ذات ليلة
صرخ فليتشر في أذني، «لن أبقى في هذا المكان أكثر من ذلك! اللعنة. أنا ذكيٌّ جدّاً!»
لكنّ سنةً أخرى مرّت وفليتشر كان لا يزال هناك
وعاهرة مستشفى المجانين لم تقدر أن تجد رضّاعاً آخر
ليعطيها غرفة، وطعاماً وخمراً.
في هذه الأثناء، كنتُ عبر لحظاتٍ صغيرة من هذا الجحيم
أخوض معارك صغيرة خاصةً بي، معارك لم تكن تقود
إلى أيّ مكان - لكن كرجلٍ يحاول الحفر في حائطٍ إسمنتي
بملعقةٍ ملتوية، عرفتُ أنّ معركة صغيرة كانت أفضل من الاستسلام: لقد أبقتْ القلبَ حيّاً.

في أحد الصباحات الغريبة، تخلّيت عن العاهرة... هكذا ببساطة، رميتُ حفنة أشيائي الرخيصة في المقعد الخلفي لسيّارتي ذات العشر سنوات، قائلاً لها:
«المكان لكِ،
أملُ أن يحالف مؤخّرتك الحظّ» ثمّ قدتُ مبتعداً.
تالياً ملأتُ استمارات التوظيف في مكتب البريد
حتّى أغادر ذاك العمل
ولم أخبر أحداً، لكن سرعان ما عرف بالأمر كامل
المبنى، مئة عامل
بين الحين والآخر
وعناصر الأمن
وحلّت الليلة الأخيرة،
فليتشر يجلس بجانبي،
صامتاً في الغالب، لكن
ليس إلى حدّ بعيد
في النهاية:
«هانك، ما الذي ستفعله بحق الجحيم، أنتَ عجوز ...»
«ساتدبّر شيئاً ما ...»
إعتقدَ العمّال الآخرون أيضاً أنّني مجنون
وإذ أعبر الباب الأخير في تلك الليلة الأخيرة
مخلّفاً ورائي المئة وفليتشر

هناك في الداخل
كنتُ ما زلتُ محتفظاً بساقيّ، أصابعي، عينيّ
معظم أجزائي

عثرتُ على آخر زجاجة بيرة في الثلاجة، فتحتُها، ذهبتُ إلى السرير، جلستُ مقابل الوسادة
أشرب البيرة،
أنهيتها، ثمّ تمدّدتُ مستلقياً على ظهري، وأغمضتُ
عينيّ.

لم يكن صوت هسهسة الغاز غير المشتعل كريهاً،
كنتُ منتظراً هناك هامّاً بالرّحيل ولم يكن لديّ ما أندمُ عليه، رغم
أنّني فكّرتُ أنّ الموت ربّما يكون أسوأ من الحياة، خارج ذلك
لم يكن هناك الكثير من الأفكار، الفكرة الرئيسية
أنّ:
هذا غريبٌ جدّاً، إذ ليس هناك أيّ خوف.

أصغيتُ إلى الهسهسة ثمّ عبرتُ إلى دائرة
أخرى: كنتُ لا أزال قادراً على سماع الهسهسة لكنّها كانت عنّي بالكامل،
معظمها داخل رأسي، دماغي،
جمجمتي، أيّاً يكن،
هذا السواد القاتم
الراسخ، فهو لم يشكّل تهديداً على الإطلاق
بعد ذلك
السواد...
غادر
وكان خواء
لا أعرف كم دام ذلك
لكن
فجأةً، انتفضتُ جالساً في السرير:
كانت فرقة طبول فولاذية منبَثقة في حلقةٍ حول رأسي
فوق العينين مباشرةً
دارت حلقة الفولاذ حول رأسي
تعصره
وتعصره
بقوّة.

رفعتُ يديّ وحاولت نزع الحلقة عنّي،
ثمّ بدأتُ أضحك، نهضتُ
ولا أزالُ أضحك
فتحتُ النوافذ
توقّفتُ عن الضحك
أغلقت مفاتيح الموقد
الفرن
كلّ شيء، عدتُ وجلستُ على
طرف السرير، وقد أصابني أسوأ صداعٍ في حياتي

ومن ثمّ
في الحال
تلاشى
مجرّد دفقٍ خفيف في الصدغين.

هكذا، جلستُ وفكّرت، ربّما أنا مصابٌ بآفةٍ دماغية الآن، حسناً،
لا بأس بذلك.

عقدتُ عزمي على رزمتين من زجاجات البيرة.
مرتدياً ملابسي، كلّ ما كان عليّ فعله
أن البس حذائي
وهذا ما فعلته، نزعتُ الجريدة والشريط اللاصق عن الباب، عبرتُ خارجاً، ونزولاً إلى الشارع نحو متجر الكحول...

لدى عودتي وبينما كنتُ أقحم مفتاحي في قفل الباب
فتحت السيّدة العجوز في آخر الرواق بابها
وسألت، «اسمع، هل تشمّ رائحة
غاز؟»
«غاز؟ لا، لا أشمّ رائحة
غاز»

مضيتُ إلى الداخل وفتحتُ علبة البيرة،
جلست على
الأريكة وسمحتُ للشراب الطيّب المنعش أن
يسري نزولاً عبر حنجرتي، ثمّ انتبهتُ إلى
سيجارٍ قديم في المنفضة، أقحمتهُ في فمي، التقطتُ الولّاعة و
نقرتها...

كان هناك انفجار، وصوت فرقعةٍ صغيرة!
وشعلة لهب مدوّرة
أمام وجهي، حلقةٌ من الأحمر العنيف شديد السخونة
بحجم بالونات الأطفال تقريباً، ثمّ
تلاشت.

شممتُ رائحة شعرٍ محترق وكان في وجهي
حماوة شديدة وغير لائقة، التقطتُ علبة البيرة
ذهبتُ إلى الحمّام ونظرتُ في
المرآة: أهداب عينيّ احترقتْ بالكامل تقريباً.
«أوه، تومي، اركل مؤخّرته، اركل مؤخّرته بقوّة!»
عندها نقر شيءٌ ما في رأسي، قال لي رأسي ببساطة،
«لقد حان الوقت لشيءٍ آخر»، فصفعتُ تومي
صفعةً قويّة فرقعتْ على امتداد الجهة الجانبية من رأسه فأعطاني نظرةً تقول: مهلاً، هذا خروجٌ عن النص، ومن ثمّ عاجلتُه بصفعة أخرى وكان في وسعي رؤية
الخوف يجتاحه كسيلٍ جارف، فأجهزتُ عليه سريعاً وساعدته الزبائن على النهوض وأخذوه للداخل
فيما كانوا يلقونَ بلعناتهم عليّ. ما منحني تلك البهجة
تلك الضحكة الصامتة في الأعماق كان
أنّني فعلتُها لأنّ
هناك حدّاً لقدرة التحمّل عند أيّ إنسان.
مشيتُ إلى حانةٍ غريبة على بعد مربّع سكنيّ، جلستُ وطلبتُ
البيرة.
«نحن لا ندخم المشرّدين هنا» أخبرني الساقي.
«أنا لستُ مشرّداً» قلتُ له.
«احضر لي تلك البيرة» جاءت
البيرة، أخذتُ جرعة كبيرة من الزجاجة رأساً، والآن أنا موجود.

تأتي المشاعر الطيبة النادرة في أكثر الأوقات غرابة، كما الآن بينما أخبركم بكلّ هذا.

جاءت البهجة الناعمة ببساطة من السير بجانبها في هذا
الكون
المريب - كنّا رفيقَين، رفيقَين غريبَين نمشي
سويّاً،
لا نقول شيئاً.
في الظلمة قيما نمشي. يطفو وشاحها الأبيض والبنفسجي
وكان في وشم الموسيقى أن تنبعث من الضوء القادم من القمر.

ثمّ كانت المرّة
حيثُ طُردتُ لعدم دفع الإيجار وحملتُ حقيبتي أمراتي إلى بابِ رجلٍ غريب ورائيتها تختفي
في الداخل، وقفتُ هناك لبرهة، سمعتُ ضحكتها أوّلاً، ثمّ ضِحْكَتَهُ، ثمّ
غادرت.
كنتُ أمشي على طول الطريق، كان الطقس حارّاً في العاشرة صباحاً،
أعمتْني
الشمس، وكلّ ما كنتُ واعياً له كان وقْع حذائي
فوق أحجار الرصيف، ثمّ
سمعتُ صوتاً: «هيه، يا زميل، هل معك بعض الفكّة الزائدة؟»
نظرتُ، وكان 3 مشرّدين في منتصف العمر يجلسون إلى الحائط،
بوجوهٍ محمرّة،
ضائعين ومهزومين بشكلٍ يبعث على السخرية.
«كم ينقصكم من أجل زجاجة؟»
سألتهم.
«24 سنتاً» قال أحدهم.
دسستُ يدي في جيبي، أخذتُ كل الفكّة وناولتها له.
«اللعنة يا رجل، شكراً لك!» قال لي.
مضيتُ في طريقي، ثمّ شعرتُ بالحاجة إلى سيجارة، نبشتُ
جيوبي، أحسستُ بملمس ورقة ما، سحبتُها
بحجم بالونات الأطفال تقريباً، ثمّ
تلاشت.

مرّةً أخرى جاء هذا الشعور بينما كنتُ أتعارك مع تومي، الشاقي (مجدّداً)،
في الزقاق الخلفي بغرض تسلية الزبائن، كنتُ أتلقّى نصيبي المعتاد من الضرب، كلّ الفتيات المثيرات بسراويلهنّ القصيرة يُهلّلْن لرجلهنّ الإيرلنديّ المفتول العضلات
«أوه، تومي، اركل مؤخّرته، اركل مؤخّرته بقوّة!»
عندها نقر شيءٌ ما في رأسي، قال لي رأسي ببساطة،
«لقد حان الوقت لشيءٍ آخر»، فصفعتُ تومي
صفعةً قويّة فرقعتْ على امتداد الجهة الجانبية من رأسه فأعطاني نظرةً تقول: مهلاً، هذا خروجٌ عن النص، ومن ثمّ عاجلتُه بصفعة أخرى وكان في وسعي رؤية
الخوف يجتاحه كسيلٍ جارف، فأجهزتُ عليه سريعاً وساعده الزبائن على النهوض وأخذوه للداخل
فيما كانوا يلقونَ بلعناتهم عليّ. ما منحني تلك البهجة
تلك الضحكة الصامتة في الأعماق كان
أنّني فعلتُها لأنّ
هناك حدّاً لقدرة التحمّل عند أيّ إنسان.
مشيتُ إلى حانةٍ غريبة على بعد مربّع سكنيّ، جلستُ وطلبتُ
البيرة.
«نحن لا ندخم المشرّدين هنا» أخبرني الساقي.
«أنا لستُ مشرّداً» قلتُ له.
«احضر لي تلك البيرة» جاءت
البيرة، أخذتُ جرعة كبيرة من الزجاجة رأساً، والآن أنا موجود.

تأتي المشاعر الطيبة النادرة في أكثر الأوقات غرابة، كما الآن بينما أخبركم بكلّ هذا.

3) قصيدةٌ للكلاب الشاردة

يأتي ذاك الشعور الطيّب النادر في أكثر الأوقات غرابة: مرّةً، بعد النوم
على مقعد حديقة في مدينة غريبةٍ ما،
أفقتُ وثيابي مبلّلة
بفعل الضباب الندي، قمتُ وبدأتُ السير شرقاً
في قبالة الشمس الآخذة بالشروق
وبداخلي بهجةٌ ناعمة... كانت
هناك ببساطة.
مرّةً أخرى بعد أن التقطتُ موسماً عن الطريق، تمشّينا في
الثانية صباحاً جنباً إلى جنب تحت
ضوء القمر
باتّجاه غرفتي الحقيرة لكن لم تكن بي رغبةٌ في وضعها في السرير.

شعر

فقط اتركوالي هذا الكرسيّ الهزّاز

شوقي مسلماني*

الظلّ يركض على الحيطان
ولا هذا المتهالك في الطريق.
■■■
كلُّ احتمالٍ
من احتمالاتِ الصدفة
كي لا يكون المللُ أكثر.
■■■
المُدركُ يتهيّب أن يكون موضع شكّ
المُدرَكُ لا يتصالح مع ما يُنتجُ القهرَ.
■■■
الظلام ليس قليلاً
الظلام مترامي الأطراف.
■■■
سترى
بعقلك الصاحي
ما لا تراهُ بعينيك
ستضحك أو ستبكي
هذا الفراغ كثير.
■■■
الحصار
أم أنا الدائرة؟
■■■
جعلوا
كلاً منّا
يلاكمُ كلاً منّا.
■■■
كثيراً يُقالُ أخيراً
ما كان يجب أن يُقالَ أوّلاً.
■■■
أنيابٌ ومخالب
أحدٌ بعدُ لا يقدر على اللحاق
شعوبٌ أبيدتْ وشعوبٌ تباد.
■■■
أخيراً
دخلوا إلى الحكاية
التي لم تكن حكاية
وقعوا في الأسر
مع الصّورِ والسمّ.
■■■
لكلّ خسرانٍ
ثمنٌ لا يحتمّلُ المراجعة.
■■■
قال الثعلب: «ليكن خمّ للدجاج»
وكان ما قال الثعلب، وكان خمٌّ للدجاج
وقال الذئب: «ليكن للخراف سياج»
وكان ما قال الذئب، وصار للخراف سياج
وهذا يقول وذاك يقول وذيّاك.
■■■
وماذا عندما توقد للدُّخان
وماذا عندما الذهاب قليلٌ الإياب؟
■■■
غربان، على حذر، في رمل
أحدهما . لا مطر، والآخر . لا أثر.
■■■
دمٌ كثير
يُسفك تحت الشمس
من أجل حبّة
ثلج.
■■■
ليستِ البلادُ هذه الشمس الرقيقة
ليست هذه الخضرة، ولا ينابيع السكّر
البلادُ أهلُها . الفجرُ الآخر.
■■■
عند خطّ الاستواء الأقرب إلى الشمس
القلبُ مفعمٌ بالحبّ وفي ذروة الذروة.
■■■
ترتيبُ حياةٍ
صناعةٌ عمياء.
■■■
هذا الفضاء
فوضى إلى أقصى نقطة
تجعلني أجزم أنّي لو لي يدٍ
لاقتربتُ على نحوٍ أرقّ، أشفّ.
ما حاجتنا لأحزمةِ الصخور،
لأي حاجةٍ تولد نجوم،
تولد كواكب، أقمار،
وتموت نجومٌ اختناقاً أو انفجاراً
ومعها عوالم لا عدّ ولا حصر لها،
جاهدتْ لتكون ذرّةً ذرّة،
وليالين السنين،
كأنّ كلّ هذه العمارات الهائلة،
المضيئة، المظلمة، المبصرة، المغمّضة،
الواقفة، القاعدة، الماسيّة، الذهبيّة،
الفضّيّة، الحجريّة، المائيّة، الغازيّة،
لكي تغرق ممزّقةً في الثقب الأسود،
أحدٌ بعدُ لا يقدر على اللحاق
شعوبٌ أبيدتْ وشعوبٌ تباد.
■■■
أخيراً
دخلوا إلى الحكاية
التي لم تكن حكاية
وقعوا في الأسر
مع الصّورِ والسمّ.
■■■
لكلّ خسرانٍ
ثمنٌ لا يحتمّلُ المراجعة.
■■■
قال الثعلب: «ليكن خمّ للدجاج»
وكان ما قال الثعلب، وكان خمٌّ للدجاج
وقال الذئب: «ليكن للخراف سياج»
وكان ما قال الذئب، وصار للخراف سياج
وهذا يقول وذاك يقول وذيّاك.
■■■
وماذا عندما توقد للدُّخان
وماذا عندما الذهاب قليلٌ الإياب؟
■■■
غربان، على حذر، في رمل
أحدهما . لا مطر، والآخر . لا أثر.
■■■
دمٌ كثير
يُسفك تحت الشمس
من أجل حبّة
ثلج.
■■■
ليستِ البلادُ هذه الشمس الرقيقة
ليست هذه الخضرة، ولا ينابيع السكّر
البلادُ أهلُها . الفجرُ الآخر.
■■■
عند خطّ الاستواء الأقرب إلى الشمس
القلبُ مفعمٌ بالحبّ وفي ذروة الذروة.
■■■
ترتيبُ حياةٍ
صناعةٌ عمياء.
■■■
هذا الفضاء
فوضى إلى أقصى نقطة
تجعلني أجزم أنّي لو لي يدٍ
لاقتربتُ على نحوٍ أرقّ، أشفّ.
ما حاجتنا لأحزمةِ الصخور،
لأي حاجةٍ تولد نجوم،
تولد كواكب، أقمار،
وتموت نجومٌ اختناقاً أو انفجاراً
ومعها عوالم لا عدّ ولا حصر لها،
جاهدتْ لتكون ذرّةً ذرّة،
وليالين السنين،
كأنّ كلّ هذه العمارات الهائلة،
المضيئة، المظلمة، المبصرة، المغمّضة،
الواقفة، القاعدة، الماسيّة، الذهبيّة،
الفضّيّة، الحجريّة، المائيّة، الغازيّة،
لكي تغرق ممزّقةً في الثقب الأسود،
وعندما ترفرف كلماتُك... اسمُكَ مزيّن
بالغارديناي.
■■■
خرج كالعادة
وكالعادة لن يرجع.
■■■
إلى أين يرجع حين يذهب
وإلى أين يذهب حين يرجع؟!.
■■■
الوجوه ذاهلة
الحرارةُ فوق الأربعين
لا قطرة ماء، المشهدُ يتكرّر
مهيضو أجنحة، المسافاتُ سنوات
شباكُ صيّادي السمك في البحارِ البعيدة
لا تزال ترفع عظاماً بشريّة
لا نفع بعدُ من رفع تقارير إلى الجهاتِ الرسميّة
الحرائقُ في الوجوه من أثر خليط الملحِ والنفط
من أثرِ نفاقِ العالم، لا تقلّ إنّي أساتُ فهْمك
لا تقلّ إنّك لا تكره، وإنّ القلوب تقسو أحياناً
لا تقلّ إنّك تطلق الرصاص فوق رؤوسهم لجماً للإكسودس. قلّ هم لا يشبهونك
انخفضَ منسوبُ الوعي الطبقيّ
ارتفعَ منسوبُ طنين الذّباب الأزرق.
■■■
ومِن البُعدِ مصالحة
ومِن الاقتراب مصالحة أقلّ.
■■■
المشهدُ
في كلّ حقبة
هو غيره
الكسورُ كثيرة
في رأسِ الدم.
■■■
وسُمعِ صمت
أعقبتْهُ صرخة.
■■■
انقضتْ ملايينُ السنين
الأرضُ كلّها كانتْ ملعبي
جسمي كان ضخماً وفكّي عظيماً
ضاعَ صوتي. امّحت خطوتي
أنا الآن حجر.
■■■
الحريّة لوحة
الديمقراطيّة إطار.
■■■
داني غاردنر
صديقي الشاعر الأسترالي
بالنيابةِ عن أمّي، وعن قلبِ أمّي
وعيونِ كلّ الغرقى في البحارِ البعيدة
وعيونِ كلّ المعذّبين في مراكزِ الاحتجاز
عندما ترفرف كلماتُك... اسمُكَ مزيّن
بالغارديناي.
■■■
خرج كالعادة
وكالعادة لن يرجع.
■■■
إلى أين يرجع حين يذهب
وإلى أين يذهب حين يرجع؟!.
■■■
الوجوه ذاهلة
الحرارةُ فوق الأربعين
لا قطرة ماء، المشهدُ يتكرّر
مهيضو أجنحة، المسافاتُ سنوات
شباكُ صيّادي السمك في البحارِ البعيدة
لا تزال ترفع عظاماً بشريّة
لا نفع بعدُ من رفع تقارير إلى الجهاتِ الرسميّة
الحرائقُ في الوجوه من أثر خليط الملحِ والنفط
من أثرِ نفاقِ العالم، لا تقلّ إنّي أساتُ فهْمك
لا تقلّ إنّك لا تكره، وإنّ القلوب تقسو أحياناً
لا تقلّ إنّك تطلق الرصاص فوق رؤوسهم لجماً للإكسودس. قلّ هم لا يشبهونك
أقولُ فأصمت وأصمتُ فاقول
صمتٌ في كلام وكلامٌ في صمت
الصمتُ قبل العاصفة والصمتُ بعد العاصفة
السمُّ يتقيّأ خدودَه والسقوطُ أعلى مِنْ برجِ الهاوية.
■■■
الضوءُ كلّه لكم
فقط اتركوا لي هذا الكرسيّ الهزّاز.
■■■
مناقير جارحة
وعيون مغمضة.
■■■
بعوضةٌ تريد دمي
وأنا أثقّلُ جناحيها بالعطر.
■■■
الأصل طرفة
والأغلب كذبة.
■■■
أعطني الزجاجة
لينامَ النملُ وأخرجَ قليلاً.
■■■
ينزل ويقول
يصعد ويقول
يقطع ويقول
شمس، ليل وزهور
ويجتمع ويقول: رماد.
■■■
يستدلّ بالبحر
ولا أثر لخطوة.

* لبنان/ أستراليا

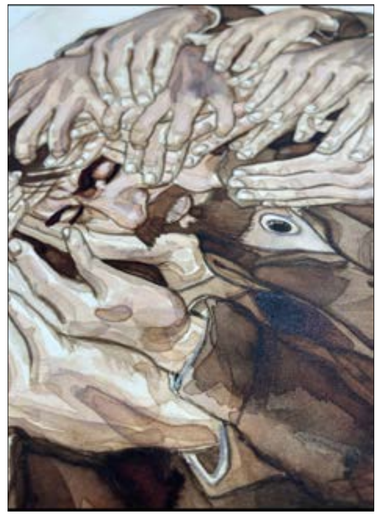

مايكل مارسيسانو - «من دون عنوان 14» (حبر ملوّن على فابريانو - 2020)

قصة قصيرة

لعبة الموت

ماهر طلبه *

في طفولتي... لعبنا لعبة غريبة لمرة واحدة، فقد اجتمعنا - نحن الإخوة الخمسة - لتوقّع من منا سوف يموت أولاً... وقتها، كان أحد أعمامنا قد مات قبل اجتماعنا بيومين، وتجمّع أبي وباقي الأعمام والعمات للقيام بواجبات الدفن وتلقي العزاء، ما حفز لدينا محاولة استقراء الغيب وقراءة المستقبل... فتوقّع أخي الأكبر أنه سوف يكون هو، لأنه الأكبر ولأن عمي الأكبر كان أول من مات من إخوته وأخواته وهو ما دعم موقفه أمامنا.
أما أخي الأصغر، فقد اختار أختي التي تسبقه في الميلاد، لأنها مريضة دائماً، ولأنها كثيراً ما تشغل العائلة أياماً وأياماً في انتظار موتها رغم أنها كانت تقوم من رقدتها المرة تلو الأخرى سالمة تاركة لنا القلق والانتظار...
وأنا تمنيت أن يكون الرجل الذي يظهر دائماً في التلفاز، فيقطع علينا متعة المشاهدة ويشغل وقتنا بكلام لا نفهمه ولا نستفيد منه شيئاً، ورأيت أنه الأحق بأن يكون الأول خاصة أنه كبير في السن لدرجة أني توقّعت أنه سوف ينكسر بمجرد عبور الهواء من تحت عباءته.
أما أختاي... واللتان كانتا محاصرتين بالصبية من حيث الميلاد... فالكبيرة، ضحكت في وجهنا وأدارت ظهرها لاجتماعنا بعدما رمت في وجهنا بتهمة الجنون... والصغرى المريضة دائماً، فقد شفطت الهواء حتى ملأت رئتيها به وأشارت إلى نفسها صامتة، دون أن تبذل مجهوداً لتفسر لنا... لكننا نفهم سبب الاختيار ونجدها لا تبتعد عن الصواب كثيراً... رغم حملنا حلماً باستخدام الغريب في الأمر... أن أخي الأصغر - وهو الشخص الأوّلي بالاستبعاد من لعبة الموت- هو من مات أولاً... وأنه بعد يومين بالضبط من موته، اتصل بي من هاتف خارجي... ليخبرني أنه قد وصل إلى الجنة سالماً... وطلب أن أطمئن الجميع عليه وأبلّغهم سلامه... وأن أرسل إليه مع أقرب الواصلين إليه/ الراحلين منا ... كتاب «كيف تصنع حلماً باستخدام الورق»، ليستخدمه في القضاء على الملل الذي يعاني منه نتيجة وحدته... ورغم أنه أنبأني أنه لا يوجد كتاب بهذا الاسم بعد، لكنه كان يعرف - نتيجة لانكشاف الغيب له - أنه سوف يُكتب في المستقبل وأنهينا المكالمة على وعد بلقاء قريب.
بدأت من فوري التواصل وزيارة الأهل والأصدقاء لقراءة مستقبلهم ومحاولة استنتاج من قد يكون أقرب الراحلين ليحمل الرسالة... كما اشتريت رزمة من الورق الأبيض جعلت منها باباً لمشروع صناعة حلم لعلّي أستطيع أن أنقل له الخبرات المكتسبة في اتصالنا القادم ليتمكن من صناعة حلم - يقضي به على الملل- باستخدام الورق.

* مصر

توفا موزارد ــ «ميتة» (طباعة صغيرة، زجاج متحفي، إطار من خشب الجوز ــ 52 × 64 سنتم ــ 2020)

9

تُرى..؟

فاروق شويخ *

تُرى؛ سوف يُغلَقُ هذا الضبابُ قريباً
وتولدُ شمسٌ جديدَه
وتنمو على شُرُفاتِ الغناءِ قصيدَهْ؟

■■■

تُرى هل تُضيءُ القَعاويدُ أحلامَنا
وتَعودينَ طافحةً بالتَّشهّي
وتكونُ لنا فُسحةٌ لِلّقاءِ
نُسمّي دقائقَها وطناً؟

■■■

متى ستعودينَ من غربةِ وبلادٍ بعيدَهْ
لنُرعى صباحاتِنا من جديدٍ معاً
فأنتِ هناكَ وحيدَهْ
وقلبي وحيدٌ هنا
تُؤانِسُهُ في غيابِكِ
هذي الجريدَهْ

* صور/لبنان

تاريخ

كاثرين م. تاكر: ما لا تعرفه عن «ثقافة القهوة»

خليل صويلح

وراء فنجان القهوة الذي نتناوله في مقهى ما ثم نمضي، تاريخ طويل من الحروب والعبودية وصراع الشركات العابرة للحدود للسيطرة على إنتاج البنّ وتوزيعه، تاريخ حفّز مطامح أوروبا الاستعمارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على الاستثمار في تجارة الرق، وصولاً إلى عولمة القهوة بوصفها المشروب الأكثر شعبية في العالم، والسلعة الثانية بعد النفط قيمةً. فالنفط هو المصدر الأول للوقود على الكوكب، أما القهوة فهي وقود إنتاجية العمل، وتالياً هما مصدران مكملان للطاقة في التجارة العالمية.

في رحلتها الملحمية إلى أرض البنّ من كولومبيا إلى غواتيمالا وهندوراس والبرازيل، تتبع كاثرين م. تاكر في كتابها «ثقافة القهوة» الصادر عام 2010 (انتقل حديثاً إلى العربية عن «دار فواصل»، ترجمة وفيق فائق كريشات) الخلفية التاريخية للقهوة. يتجاوز الولع بالقهوة حدود تحسين المزاج نحو روابط اجتماعية تقع خارج المنزل ومكان العمل، بوصفها مكاناً ثالثاً للنقاش والتواصل والصداقة، قبل أن تطبع سلسلة «ستارباكس» وأمثالها بأذرعها الطويلة ثقافة القهوة القديمة بنوع من الاحتكار العولمي، ليس في نوعية الخدمة فحسب، وإنما في شراء أسهم في شركات مزارع البن، وتقديم خدمة الأنترنت في مقاهيها الخاصة، ما خلق دينامية مختلفة في تحدّي أعراف المقهى، و«الإذراء للسلطة التي ميّزت المقاهي الأولى في أوروبا». أمر أدى إلى تقسيمات طبقية في المعرفة الثقافية والميول والذوق، تبعاً لنوعية القهوة المفضّلة «اسبريسو أم لاتيه أم كابتشينو أم قهوة عادية» كنوع من الهوية.

هكذا قطعت الباحثة الأميركية آلاف الأميال للاطلاع عن كثب على حيوات مزارعي البن ومكابداتهم في العيش مقابل أجور بسيطة، فيما كانت الشركات تزيد أرباحها عن طريق علماء النفس وخبراء التسويق والدراسات الطبية بجرعات عالية من الحملات الإعلانية والشعارات التي تدعو إلى مزيد من استهلاك هذا الإكسير السحري. ستستعير إحدى شركات الإعلان عبارة قالها الرئيس الأميركي تيودور روزفلت عند انتهائه من كوب قهوة: «جيّدة حتى آخر قطرة». كما ستستدل شركات استيراد القهوة الأصناف الفاخرة بنوعية أقل ثمناً، على حساب النكهة والرائحة، اعتقاداً منها أن المستهلكين لن يلاحظوا الفرق. في تاريخها الطويل كمشروب شعبي، واجهت القهوة صراعات محتدمة مع المشروبات الغازية التي نافستها بقوة كمصادر للكافيين وفي مقدمها «الكوكا كولا». هذا المنتج الذي تمكّن بتوليفة من التسويق الاستراتيجي والحظ أن يصل إلى بلدان بفوق عددها البلدان التي وصلت إليها الأمم المتحدة. لكن الذوّاقة ما زالوا «يحنّون إلى ماض أكثر أرستقراطية، ويحاولون استعادةَ حقبة بأكملها باختيارهم أصناف القهوة ذات الحبة الكاملة المعدّة بطاحونات البنّ العتيقة والتنوع في سلالات محددة من حبوب البن وتحميصها». تميط كاثرين م. تاكر اللثام عن المخاطر البيئية التي يخلّفها قطع الغابات لزراعة البن واستعمال المبيدات الكيميائية، بالإضافة إلى مشقة العمل، لكننا لا نرى فعلياً إلى المشهد العمومي سوى سفن الشحن والحاويات الضخمة التي تمخر المحيطات محمّلة بأكياس البن إلى البلدان السعيدة «إن تخيّلات شاربي القهوة للمزارع المدارية مسكونة بعمال سعداء، تغاير أحلام قاطفي البنّ بالمدن الساطعة والجيوب الملأى بالنقود». فهناك على الضفة الأخرى «سخام وتلوّث وظلم، وحلم الحصول على تأشيرة دخول». رحلة البنّ إذاً، هي تاريخ المرارة، قبل أن تتحوّل إلى أحد مظاهر العولمة، فقد زُرع البنّ على مدى خمسمئة عام في البلدان المدارية كي يُستهلك في الأقاليم المعتدلة، ما أدى إلى ربط شعوب مختلف المناطق والقارات بالتجارة والاستثمار والهجرة والغزو والانتشار الثقافي والديني «إن في كوبك عالماً من التاريخ» تقول. ولكن ما هي الاستعمالات الأولى للبنّ؟ تبعاً للسجلات، فإن رحلة الاكتشاف بدأت من الحبشة وحُملت النبتة السحرية عبر البحر الأحمر إلى اليمن، فاستخدمه أحد أتباع الطريقة الصوفية كي يعينهم على السهر من أجل قيام الليل، ثم انتشرت القهوة في العالم الإسلامي، لتبحر لاحقاً إلى أوروبا. أمر جذب الصراعات الاستعمارية على المنطقة، إذ وسّع العثمانيون إمبراطوريتهم في القرن الخامس عشر. وخلال القرن السابع عشر، غزوا اليمن وسيطروا على حقول البن في القرى الجبلية واحتكروا تجارته، قبل أن تصبح هولندا وبريطانيا قوتين بحريتين كبيرتين. هكذا هرّب مغامر هولندي غرسة من ميناء عدن إلى امستردام، وزرعها في دفيئة، إلا أن التجربة فشلت ثم زُرعت في مستعمرة «جاوا» لتصبح أهم مركز لتصدير البن (يربط اسم القهوة بكلمة جاوا). وإذا بزراعة البنّ تسير مع الاستعمار جنباً إلى جنب، من دون أن نهمل العمل القسري لسكان المستعمرات المجلوبين من أفريقيا في ظروف لا إنسانية. وعلى المقلب الآخر نشبت ثلاث حروب بين الهولنديين والبريطانيين من أجل الهيمنة على تجارة البن والشاي في الهند، وفي الحرب الرابعة تمكّنت بريطانيا من هزيمة هولندا، فاصبحت شركة الهند الشرقية البريطانية القوة التجارية الأولى في العالم آنذاك. حروب البنّ في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية أحدثت اضطراباً في الثقافات وطرق الحياة التقليدية وأدت إلى التهجير. ويحلل القرن الثامن عشر وبزوغ الثورة الصناعية، احتلت القهوة كمشروب ثمن مكانة مرموقة، ومن متعة للنخبة إلى مشروب للجميع، خصوصاً بنشوء الطبقة العاملة التي تحتاج إلى «انضباط بدني»، كانت القهوة أفضل وسيلة مساعدة ليقظة العمال في المصانع.

في البلدان الإسلامية، ستحرّم القهوة بقرمان من والي مكة العثماني (1511)، لأنها لم تُذكر في القرآن، حسب بعض الفقهاء، لكن السبب الأساسي للتحريم أتى من التجمّعات المريبة خارج المساجد، والخشية من أعمال الشغب. إن السلطان العثماني مراد الرابع أغلق المقاهي وأمر بتقييد أصحابها والزبائن داخل أكياس وقذفهم في البوسفور، إلى أن أصبحت القهوة جزءاً أساسياً من الحياة اليومية المعتادة. وأنت ترتشف قهوتك صباحاً، فكّر بالام ملايين العمال في مزارع البنّ، إذ تُطحن حياتهم كل يوم من دون إعلانات.

تبعاً للسجلات، فإن رحلة الاكتشاف بدأت من الحبشة وحُملت النبتة السحرية إلى اليمن

قصص

رانية الجعبري : الأشياء حين تسرد القصص

تغريد عبد العال

تنوّه القاصة الفلسطينية الأردنية رانية الجعبري في مجموعتها القصصية الجديدة «كما لا يحب أبي أن يراني» الصادرة حديثاً عن «دار نلسن»، أنها لا تقصد بهذا العنوان والدها بل السلطة الدينية التي أفهمت أباها أن تحرير فلسطين لا يتم إلا بتقييد حرية المرأة. ومن هنا، يأتي السرد وكأنه تتمة لهذا التنويه فيدور حوله، حيث تجري تفاصيل كثيرة في عالم المرأة وأجوائها وكأنه عالم سحري وملي بالتلحظات التي تمسك بها القاصة وتظهرها أمامنا لتبدو المرأة عالماً مكتملاً بذاته، ومن مهمة السرد اقتحام هذا العالم.

هناك رغبة ما عند القاصة لجعل القصة القصيرة تتاى عن السرد المهل والطويل، فيبدو التكثيف طريقها نحو التخلص من زوائد القصة نفسها. ومن هنا تبدو حساسية المجموعة التي تبدأها القاصة بقصة بعنوان «صندوق البهجة»، وكأنها مناسبة لتفتتح فيها القاصة عالم المرأة بالسؤال عن السعادة، فتنهي قصتها بسؤال شفاف: من أقفل صندوق البهجة؟ هي لحظة صادقة في جعل الأشياء تتحدث عن عالم المرأة الخفي كأن المسمار والصناديق وملقط الحواجب والسرير هي الشخصيات التي تعطيها الكاتبة القدرة على امتلاك المشهد. فتظهر هذه الأشياء وكأنها قادرة على أن تشعر بما تفتقده هذه المرأة. ففي قصة «ملقط الحواجب يستعيد ذاكرته»، تبدو المرأة غير مكترثة بملقط الحواجب وتريد أن تشتري واحداً جديداً، لكنها في عجلة من أمرها. وحين كانت تتأمل نفسها وهي تجتهد في إزالة شعرة صغيرة جداً حول فمها، باغتها الملقط بقبلة على طرف شفتها. تختار الكاتبة نهاية مباغتة وحنونة كأنها تجعل لأشياء المرأة القدرة على الإحساس بما يشغلها. وأحياناً، تبدو الأشياء عاجزة بينما تعطي المرأة أهمية لها وشعوراً بالأمان مع هذه الأشياء كفنجان القهوة مثلاً. ففي قصة أخرى معنونة «بلا شعور»، يتحدث فنجان القهوة عن عجزه بينما تمسكه المرأة وتقلبه في يديها، فيقول في نهاية القصة «يتملكني عجز كبير، وأنا الصفحة البيضاء التي كانت تخط الزمن، بتّ تائهاً بلا تلك الكفين اللتين تقلباني وتقرآن المستقبل».

تحاول رانية أن تقرأ مشاعر هذه الأنثى من خلال هذه الأشياء، فتقول في قصة أخرى بعنوان «الانتظار»، أن ورقة اللوز تهمس لأختها: «هل يدرك البشر بمحبتنا وترقبنا لتفاصيل حياتهم؟». تدخل إذن هذه الشخصيات الخفية إلى عالم السرد وتجعله يتحدث عن مشاعر غامضة كالانتظار والشوق.

وأما التمرد فكان خفيفاً جعلته الكاتبة يمر في تفصيل وفي قصة صغيرة حجماً جاءت بعنوان «صحو» وجعلت القاصة زينتها التي تهز عرش الرحمن تهز عرش الرجال في إحساس بسيط بأنها خرجت عن نصيحة أمها.

تجري تفاصيل كثيرة في عالم المرأة وأجوائها وكأنه عالم سحري

تعطي تلك القصة إشارة إلى حجم التمرد في عالمها. رغم أنه بسيط، لكن دلالته كبيرة جداً وقد يعطي معنى كبيراً للعالم من حولها.

تختم القاصة مجموعتها بقصة بعنوان «مرايا» التي يشكل فيها العالم الافتراضي خلفية لعالمها الحميم في ظلام غرفتها، كأن هناك عالمين لهذه المرأة يتداخلان مع بعضهما البعض، ويشكل الواحد منهما خلفية للآخر. نقع على أجواء نعرفها، ونلاحظ أننا أمام تفاصيل تذكرنا أننا نحاول أن نكون حقيقيين في العالمين، وأن لا حدود في عالم المرأة، فقد أصبح يتسع، فالفيسبوك صار إحدى المرايا التي ترى فيها نفسها، ولكنها رغم ذلك لا تقع في وصف ممل لهذه الأشياء بقدر ما تنوه لوجودها وتعطي إشارات على قدرتها على أن تعطي معنى كبيراً لعالم المرأة وحياتها.

تطمح الكاتبة أن تأخذ القصة شكلاً آخر غير الاحتجاج أو البوح أو أن تعكس أسراراً أصبحنا نعرفها جيداً، بل هي محاولة لإلتقاط تفاصيل تقول أشياء مختلفة عن أجواء نعرفها بلغة بسيطة وسلسة تبتعد فيها عن محاولات الحديث مع الآخر أو حتى استجدائه، فنجد السرير يحن للمرأة بينما يغار الرجل من سريرها، فلا نعثر عليها في عراك أو صراع معه حتى نعثر على تلك الجملة في قصة معنونة بـ«ليست طلاسم»: «ما تفكر به كان أبعد من صلاة أبيها» وهذه الجملة فعلاً تصف المجموعة، فهي تحاول أن تُبعد السرد عما يفكر به أبوها أو الرجل بالمعنى الأوسع، فتظهر المرأة في المجموعة كائن مستقل ومكتمل. ومن هنا يبدو طموح القاصة في نسج لغة خافتة ولكن خارجة عن تصور الرجل، بالضبط كما تعنون مجموعتها «كما لا يحب أبي أن يراني». هي الرغبة إذن بتقديم المختلف عن رغبة الآخر وكما يحب.

ولهذا ربما نفسر لجوءها إلى الأشياء، في جعل العالم الصامت يتحدث، وفي محاولة لكسر رتابة السرديات العاطفية وميلها إلى ابتكار عالم خاص نقراه ونحن نعلم أنه في طريقه لأن يقول أشياء جديدة في مرات قادمة.

سيرة

أحمد عبد الحسين: بحثاً عن كتاب حنا الضائع

محمد ناصر الدين

في «طفل لاعب باللاهوت» (منشورات المتوسط. 2021) للشاعر العراقي أحمد عبد الحسين الصادر أخيراً تحت خانة «السيرة»، يمسكنا الشاعر بيدنا منذ الصفحة الأولى ليخبرنا أنها ليست سيرة شخصية تماماً، تخضع لمنطق الوقت والتاريخ، بل «محض استذكار لما فعله الشعر بي... ما من تسلسل زمني يربط هذه النصوص والتأملات. كل شيء مبعثر كما لو أن الشعر مرّ هنا وقلّب الأشياء وجعلها رميماً منثوراً. هكذا مضت حياتي مع الشعر، فلا تكاد تعثر على نظام يضبطها أو منطق يفهرسها... أردت أن أبعثر سيرتي لتلائم حياتي».

نحن إذن أمام سيرة للشعر، وتأمل نظري وتجريبي فيه، أول ما يبدأ بجسده ومادته الأولى: الكلمات. في فصل بعنوان «رسالة في انطباق الشفتين» وآخر بعنوان «يكاد زيتها يضيء»، تتجلى حروف اللغة في رمزيتها وقوتها بما يحيل إلى الأحرف التي تُبتدأ بها سور الذكر وتأويلها الباطني الشعري عند الصوفية: «قبل ثلاثين عاماً قال لي شيخي في قم إن الميم هو حرف الحقيقة الأدمية. قال انظر الى تأخره في أدم ثم انظر إلى وروده في اسم محمد مرتين، متقدماً ومتوسطاً وستفهم»، «اسم أحمد من دون الميم سيصير «احد» وهو حقيقة الذات المنفرد الذي ليس معه غيره، ولولا الميم ما كان فرق بين الاثنين، فالميم هو تحقق العبودية»، لتخرج «الشعر أكثر الأفعال حظاً من البراءة» في فصل «صلاة في قلب القاموس»، وتارة على هيئة شيخ يشبه الحلاج في المنامات، يقطع على الشاعر عزلة الكتابة في مقهى دمشقي، قائلاً له: «كل كلمة هي رد على كلمة التي هي رد على كلمة». وحين يقاطعه الشاعر بالقول «حتى النهاية»، يرجع الشيخ كلّ الماء إلى النبع: «غلط، إلى البداية، الى كلمة أولى لا صوت فيها ولا معدّية لأنّ فيها استعداداً لأن تكون ما تكاد تكونه، لكنها تظل أبداً أدنى من ذلك، ينقصها شيء ما. وهذه حصتها من العذاب: أنها بحاجة إلى أمر خارج عنها لتكون. هي كلمة محمّلة بالشعر. لأنها محمّلة بالألم. إنها ليست كلمة «يوشك» التي تفترض للتحقق شرط الوقت ليس إلا. فالفعل «يوشك» معلّق في انتظار زمن سيجيء، لكن «يكاد» متروكة في أفق أنتظار أبدي».

في فصل «شعر وجنس»، يقول عبد الحسين: «في الجنس مسٌّ من الشعر، لأن العراك الألفي بين روح وجسد لا ينتهي إلا على سرير». يحيلنا هذا القول الى أوكتافيو باث في مؤلفه العظيم «اللهب المزدوج» حين يقول: «الإيروسية استعارة من استعارات الجنس، والشعر ضرب من شهوة اللغة». ونستذكر تحت نور هذا اللهب ما قالته الشاعرة العربية القديمة: «شفاء الحب تقبيل وضمٌ/ وأخذٌ بالمناكب والقرون، ورهزٌ تذرف العينان منه/ وزحفٌ بالبطون على البطون»، أو محي الدين بن عربي في تلك اللغة الطازجة الحسية والشعرية في وصف المواقيت: «ورأى في هذه السماء غشيان الليل النهار والنهار الليل، وكيف يكون كل واحد لصاحبه ذكراً وقتاً وأنثى وقتاً، وسر النكاح والالتحام بينهما وما يتولد فيهما من المولودات بالليل والنهار».

في أكثر من فصل، يحاول أحمد عبد الحسين أن يمسك بتعريف حسّي أو فلسفي تجريدي للشعر، فيبرز تارة كفكرة مجانبة صاغها هايدغر «الشعر أكثر الأفعال حظاً من البراءة» في فصل «صلاة في قلب القاموس»، وتارة على هيئة شيخ يشبه الحلاج في المنامات، يقطع على الشاعر عزلة الكتابة في مقهى دمشقي، قائلاً له: «كل كلمة هي رد على كلمة التي هي رد على كلمة». وحين يقاطعه الشاعر بالقول «حتى النهاية»، يرجع الشيخ كلّ الماء إلى النبع: «غلط، إلى البداية، الى كلمة أولى لا صوت فيها ولا حروف، مخلوقة وخالقة في الوقت نفسه... تلك هي الكلمة التي يتذابح عليها الشعراء». يبدو الشعر في فصل آخر بمثابة مضاد حيوي للعولمة. إنه مرادف لشمعة باشلار أو لسورة النور القرآنية التي فيها تسكين شعري للنور في مشكاة ثم في مصباح ثم في زجاجة، مقابل سرعة ضوء العولمة التي في فيضانها المعلوماتي شلّ لقدرة الانسان على أن يفكر ويتدبر. في تنويع آخر، يبدو الشعر أيضاً مثل «دعوة إلى الضيافة» على قول دريدا، إذ يستذكر عبد الحسين قصيدة صغيرة أعطاها لصديق: «دائماً كنت أمضي هناك/واشعر أني هنا/وربما حين أبقى هنا/سوف أشعر أني هناك/مفزع أن تكون هنا/ مفزع أن تكون هناك».

يستعرض الشاعر حياة هذه القصيدة، التي بدت له أول الأمر ساذجة، هو الذي لم يخرج من حدود بغداد عند كتابتها ليختبر «هنا» و«هناك»، لكنها غيّرت في حياة صديقه المسرحي الذي تلقّاها كألهبة، وصارت مصداقاً لحياته في الترحال والهجرة والمنافي، ليغنيها سميح شقير في ما بعد، وليموت الصديق مقتولاً وهو يردد قصيدة أخرى لعبد الحسين عن غراب يطرقون الباب، كأن القصيدة سهم ينطلق ولا شيء بعيده إلى قوسه. في الفصل الذي يحمل الكتاب عنوانه، والذي يبدأه بمقطع «حول الشعر والتشيع»، نستذكر مظفر النواب في وتريات: «واحتشدَ الفلّاحونَ عليّ... نبيّهمْ كان عليّ .. و أبو ذر .. والأهوازيّ...»، من ذكريات الطفولة في مدينة الصدر التي تطوف بالمياه، فيدخل غريبُ الدار بطلب أن يستريح قليلاً ويخرج بطريقة عجائبية ليقال إنه المهدي المنتظر، الى الشاعر متفرجاً على أبيه قارئ العزاء الذي بقوة الشعر الحسيني «يقدر أن يجرد الرجال من هيبة وكبرياء واتزان كانوا يتحلون بها قبل قليل، ليجعلهم ينوحون ويصرخون كالثكالى»، إلى تأمل فلسفي للتشيع الذي «لديه تاريخان واحد للماضي المؤلم وآخر للمستقبل الذي يريد به مسح الوجع، ولا تاريخ للحاضر». والشاعر في هذا التمزق «طفل لاعب باللاهوت يجادل عن تاريخه في شق جدار». إنه لعب خطر لذاكرة مترعة بنصوص التشيع كمرجعية لغوية ووجدانية، ورغبة محمومة في مفارقة الذاكرة وإطلاقها (قرأتُ كتاب أصول الفقه/ ومحوت اسمي من بين الأسماء/لقد نجوت)، لكنها نجاة تحمّل الشعر حمولة الرفض والحزن الكربلائي في «أرض السواد».

عن بداية علاقته بالشعر، يتحدث أحمد عبد الحسين عن كتاب أبيض في أيام الطفولة، بعنوان طويل «مكتوب لطفل يريد إسكات حيوانات أعماقه، يلقم أشخاصه جملاً طويلة يلهيهم بتأملها، ومن فهمَ فليفهَم، ومن لم يفهَم فستكون له حصته من السحر، من الدهشة التي ستطبع الى الأبد كل قول موارب». هذا الكتاب المليء أيضاً بتخطيطات لأشجار تخرج منها شرايين تنتهي بعيون بشرية سيضيع ويطارده الشاعر بعد أن يسميه «كتاب حنا»، إذ لم يبق من عنوانه غير تلك الكلمتين في الذاكرة، ويكتشف بالصدفة بعد عشرين عاماً أنه لشاعرة سورية راحلة اسمها إكرام انطاكي، والرسوم للشاعر الإسباني الكبير لوركا. يختم عبد الحسين هذا الفصل بأن لكل شاعر كتاباً ضائعاً، «إن كان لديك كتاب مفقود/ احرص على أن لا تجده». ربما يكون «طفل لاعب باللاهوت» هو هذا «كتاب حنا» الضائع للباحثين عن سيرة جميلة وحساسة للشعر والشاعر.

سيرة للشعر، وتأمل نظري وتجريبي فيه

لمحات

ضياء حيدر رحمن

تجري أحداث رواية «في ضوء ما لا نعرفه» (منشورات الجمل – ترجمة: علي الأمير صالح) لضياء حيدر رحمن بين كابول ونيويورك وإسلام آباد ودكا ومدن أخرى. في روايته الصادرة بالإنكليزية سنة 2014، تُراوح المدة الزمنية للعمل بين الحرب في أفغانستان، وفترة الأزمة الاقتصادية في العالم بين عامَي 2007 و2008. أسئلة كثيرة يطرحها الكاتب البنغالي في هذه القصّة منها الحب والانتماء والعلم والحرب من خلال علاقة صداقة بين رجلين، تغطي الرواية الحقبة الأولى من القرن الحادي والعشرين بأزماتها وحروبها، يسردها راوٍ مجهول الهويّة.

فراس السوّاح

«عبادة الأحجار عند الساميين وأصل الحجر الأسود» (التكوين) هو عنوان الدراسة الجديدة للباحث السوري فراس السواح. يضمّ الكتاب مجموعة دراسات، بعضها كان قد نُشر باللغة الإنكليزية للسواح في السابق. يتقصّى قسم «عبادة الأحجار» رمزية حجر الكعبة الأسود ودواعي تقديسه قبل الإسلام وبعده، متتبّعاً أصوله في ثقافة الشرق القديم. في «إسرائيليات» يقدّم دراستَيه «أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ»، و«البقية التائبة ونشوء الديانة اليهودية»، فيما يضمّ قسم «متفرقات» دراسات نُشرت في الصحافة الورقية أو الإلكترونية، أو أُلقيت كمحاضرات داخل سوريا وخارجها.

مجموعة من الباحثين

يضمّ «الحكومة العربية في دمشق: التجربة المبكرة للدولة العربية الحديثة (1918-1920)» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، ثمانية عشر بحثاً قدّمت في مؤتمر عقده المركز في بيروت سنة 2019. تتناول الأبحاث الحكومة العربية في دمشق على ضوء تغيرات وتحولات إقليمية ودولية في تلك الفترة، من مناظير عدّة منها بناء الدولة، وعلاقة الحكومة بتركيا من خلال أبحاث حول الحكومة في الأرشيف العثماني، ومشروع اتفاقية فيصل ومصطفى كمال. كذلك تتوقّف بعض الأبحاث عند تأثير النخب السياسية والثقافية في دستور سوريا لعام 1920، والعوامل الداخلية التي أدّت إلى الانهيار.

نزار آغري

بعد «أوراق الملا زعفران»، و«كاكا والجدار»، و«شارع سالم» صدرت رواية جديدة للكاتب والمترجم السوري نزار آغري أخيراً عن «الكتب خان» في القاهرة. تحمل الرواية عنوان «البحث عن عازار»، وفيها نتابع علاقة الصديقين عبد وعازار في مدينة القامشلي السورية بما تتسع له من تنوّع في الطقوس والأعراق والديانات. في الرواية سنكون أمام رحلات بين مدن وضواحٍ وأعمار طويلة، يظلّ فيها السعي إلى زمن البراءة الأوّل طاغياً. رواية يكتبها آغري بلغة بسيطة وغير متكلّفة ومادتها، لإعادة رسم أمكنة وزوايا وأسواق في المدينة السورية التي تصبح مجرّد ذكرى في تنقلات البطل لاحقاً بين بيروت وحلب والنروج.

سوزان سونتاغ

تقدّم سوزان سونتاغ في مؤلّفها «المرض كاستعارة» (1978) نقداً للغات والاستعارات التي ترافق الحديث عن الأمراض والمصابين بها، داعية إلى التخلّي عن الاستعارات التي تثقل المريض نفسياً. الناقدة والمنظّرة الأميركية التي عانت من السرطان مراراً، تبني نظريتها النقدية في المؤلّف على بعض الأمثلة والاستعارات الدينية والثقافية والسياسية التي ارتبطت بمرضَي السرطان والسل، من خلال الكتابات، والتصريحات التي يتوصّل بعضها إلى أن أمراضاً كهذه هي نوع من العقاب للمريض. كلّ هذه يتضمّنها الكتاب الذي سيصدر قريباً بالعربية عن «دار المدى» (ترجمة: حسين الشوفي).

محمد روحي الخالدي

يشكّل «السيسونيزم أي المسألة الصهيونية: أول دراسة علمية بالعربية عن الصهيونية»، للمفكر الفلسطيني محمد روحي الخالدي، الدراسة العلمية الأولى التي كُتبت بلغة الضاد عن الصهيونيّة. الكتاب الذي حرّره المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي («مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بالتعاون مع «المكتبة الخالدية» في القدس)، هو مخطوطة غير منتهية أنجزها المؤلف قبل وفاته عام 1913، لكنها بقيت محفوظة بين أوراقه الشخصية في أرشيف «المكتبة الخالدية»، يرصد الكتاب النشاط الصهيوني الأوّل في فلسطين، وتواطؤ الأجهزة المحلية مع سماسرة الصهاينة، كما كشف التحايل على قرار الحدّ من الهجرة اليهودية وانتقال الأرض العربية إلى اليهود.

أوراق

راكب الجمل وراكب الحمار

زكريا محمد *

انتهينا في مادة الأسبوع الماضي إلى أن الجمل والحية رمزان لوجهي الكون القرينين والمتعاكسين. لكننا قلنا إنّ الحية مثيل الحمار ميثولوجياً. ولدينا أدلة على أن الحية عديل للحمار ميثولوجياً. فهناك نحت حثي يمثل كائناً نصفه حيوان ذو حافر، ونصفه الآخر حية. وهو ما يؤكد ارتباط ذوات الحافر (حمار، بغل، فرس) بالحية ميثولوجياً. وهو ما يعني أن هذا الحيوانات تمثل إلهاً، أو آلهة، من الطابع نفس.

بذا يمكن القول أيضاً بأن وجهي الكون يتمثلان جملاً وحماراً. من أجل هذا، انقسمت النبوات في منطقتنا إلى طرازين: نبوة ركاب حمير ونبوة ركاب جمال. جاء في سفر أشعيا في الكتاب المقدس: «فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال» (أشعيا 21: 6-7). والجميع يعرف، بما في ذلك المصادر العربية القديمة، أن هذه الآيات تتعلق بالنبوات. أما نبوة يسوع المسيح فمرتبطة بالحمار، لا شك. فقد دخل القدس على حمار تحقيقاً لنبوءة النبي زكريا الشهيرة: «لا تخافي يا ابنة صهيون، فإن ملكك قادم إليك راكباً على جحش ابن أتان» (زكريا: 9:9). لذا يقول إنجيل لوقا «وأتيا به [بالجحش] إلى يسُوع، وطرحا ثيابهُما على الجحش، وأركبا يسُوع» (لوقا 19: 35). أما في إنجيل يوحنا، فقد جاء: «ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب» (يوحنا 12:14).

وتعتقد المصادر العربية أنّ الحديث عن ركاب الجمال عند أشعيا إشارة مباشرة إلى النبي محمد ونبوته. يقول ابن الجوزي عن أشعيا نقلاً عن ابن إسحق «هو الذي قال... أبشري أوري شلم، يأتيك الآن راكب الحمار، يعني عيسى، ويأتيك بعده راكب البعير، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم» (المنتظم، ابن الجوزي).

وهناك شبه إجماع على هذا في المصادر العربية. لكن هذا غير صحيح مطلقاً، إذ لا يمكن التوصل إلى طبيعة نبوة النبي محمد من خلال النظر إلى مراكبة في الحياة الواقعية. وفي هذه الحياة كان يركب الجمل والبرذون والحمار. ذلك أن كلام أشعيا لا يجري على المستوى الواقعي، بل على المستوى الرمزي الديني. بذا يجب البحث عن رحلة رمزية دينية لتحديد طابع نبوة أي نبي. فقد رحل يسوع المسيح إلى القدس على ظهر حمار، لأن طراز نبوته يقتضي ذلك، وليس لأنه صادف، أو أن تلاميذه صادفوا، حماراً فأتوه به. يدل على هذا ما جاء في سفر متى:

«ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما: «اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشاً معها فحلاهما وأتياني بهما. وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا: الرب محتاج إليهما. فللوقت يرسلهما» (متى 21 : 1-2). إذن، فالجحش كان موجوداً في مكان معروف للمسيح في القرية، ولم يكن هناك مصادفة. وهو يطلبه من تلاميذه لأن الرحلة إلى القدس يجب أن تتم على ظهره. فالرب يحتاج إلى الجحش لا غيره.

بالتالي، فربط نبوة النبي محمد بالجمل لأنه كان في الحياة الواقعية يركب جملاً أو ناقة، أو لأن عرب الجزيرة العربية مرتبطون بالجمل، ليس مدخلاً صحيحاً لفهم طابع نبوته. فالذي يحدد طابع النبوة هو نوع الرحلة. فرحلة المسيح إلى القدس كانت رحلة دينية، رحلة ملك إلى مملكته الدينية. بذا فالجحش- الحمار الذي أخذه إلى هناك يجسد طابع نبوته. من أجل ذلك يجب عدم البحث عن الحيوان الذي يرمز لنبوة النبوي محمد من خلال رحلة تجارية مثلاً، أو من خلال رحلة هجرته هارباً إلى يثرب، بل من خلال رحلة دينية مؤكدة.

أما الرحلة الدينية المركزية في سيرة النبي محمد فهي رحلة الإسراء والمعراج. بالتالي، فالدابة التي ركبها النبي في هذه الرحلة هي التي تحدد إن كانت نبوته نبوة راكب حمار أو نبوة راكب جمل. والحال، أن النبي أسرى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر حيوان يدعى «البراق». وما زلنا إلى اليوم نسمّي حائطاً من حوائط المسجد الأقصى باسم هذا المركوب (حائط البراق). فهناك في هذا الحائط كان مربط براق النبي. بذا فنبوته مرتبطة بالبراق لا بالجمل.

وما هو البراق حقاً؟ إنه حيوان بين والبغل والحمار: «دابة ركبها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلة المعراج، وكانت دون البغلِ وفوق الحمارِ» (القاموس المحيط). يضيف ابن عربي: «وإنما جاءه جبريل عليه السلام بدابة دون البغل وفوق الحمار تسمى البراق» (ابن عربي، الفتوحات المكية). وكلمة «دون» هنا لا تعني الحجم فقط، بل تعني أن البراق مركب من حمار وبغل. لهذا اعتبره ابن عربي دابة برزخية: «والبراق دابة برزخية فإنه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد، فجمع البراق بين من ظهر من جنسين مختلفين وبين من ظهر من جنس واحد لحكمة علمها أهل الله» (ابن عربي، الفتوحات المكية).

> يمكن القول بأنه ليس للجمل علاقة دينية بنبوة النبي محمد ولا بالإسلام كدين

والحق أنّ هناك حديثاً نبوياً مروياً عن ابن عباس يؤيد أن البراق حيوان فوق الحمار ودون البغل. يتحدث النبي في هذا الحديث عن مراكب الأنبياء، مركزاً على مركبه هو: «أما أنا فعلى البراق، وجهها كوجه الإنسان، وخدها كخدّ الفرس، وعرفها من لؤلؤ ممشوط، وأذناها زبرجدتان خضراوان، وعيناها مثل كوكب الزهرة تتقدان مثل النجمين المضيئين، لها شعاع مثل شعاع الشمس، بلقاء محجّلة تضيء مرة وتنمي أخرى، ينحدر من نحرها مثل الجمان، مضطربة في الحلق أذناها، ذنبها مثل ذنب البقرة، طويلة اليدين والرجلين، وأظلاف البقر من زبرجد أخضر، تجدّ في مسيرها تمرّ كالرّيح وهو مثل السّحابة، لها نفس كنفس الآدميين، تسمع الكلام وتفهمه، وهي فوق الحمار، ودون البغل» (ابن منظور، تاريخ دمشق).

وهكذا فالبراق حيوان بين الحمار والبغل، الذي هو نصف حمار، أي إننا في الواقع مع حمار ما. وكل هذا يشير بوضوح إلى أن نبوة محمد هي من طراز نبوة المسيح. لقد دخل الاثنان القدس على ظهر دابتين متشابهتين: الحمار والبراق.

انطلاقاً من هذا، يمكن القول بأنه ليس للجمل علاقة دينية بنبوة النبي محمد ولا بالإسلام كدين. يؤيد هذا بقوة أنّ جدلاً دار بين المسلمين واليهود في يثرب بعد الهجرة حول أكل الرسول للحم الجمل؛ إذ قال اليهود للرسول: «كيف تقول إن ملاكك جبريل، وجبريل يحرم أكل الجمل؟» وهو سؤال كاشف. فلو كان الجمل هو الحيوان الرمزي للإسلام، لكان من المفروض تحريم أكل لحمه على المسلمين. وقد ردّ الرسول، أو المسلمون، على اليهود بالقول إن جبريل لم يحرم لحم الجمل، بل إسحق. وهذا هو الصحيح. ملة يعقوب، أي اليهودية الأصلية، هي التي تحرم أكل الجمل لا ملة جبريل. كما أن جبريل ليس ملاك الملة اليهودية أصلاً. ملاك ملة اليهود هو ميكائيل، وهو ما أكده الحوار حول لحم الجمل في يثرب؛ إذ أعلن يهود يثرب أن ملاكهم هو ميكائيل المسالم لا جبريل الحربي. الملل الإبراهيمية، مثل المسيحية والإسلام، التي ملاكها جبريل، هي التي حيوانها الرمزي هو الحمار. من أجل هذا، فالإسلام يحرم أكل لحم الحمار. وفي الحديث النبوي: «ليس في الْجَبْهَة ولا في الكُسْعَة ولا في النُّخَّةِ صدقة». والكسعة هو الحمار. كما أن الحمار لا يزكّى ولا يذكّى في الإسلام. أي ليس فيه زكاة، ولا ينفع كأضحية. ليس لأنه نجس، بل لأنه في الأصل مقدس. لكن تحريم أكله جعله لاحقاً يبدو كما لو أنه ناتج عن نجاسته.

اليهودية الأصلية، التي لم تختلط بالإبراهيمية، إذن هي المرتبطة بالجمل لا الإسلام. ولهذا اقترحت أن اسم النبي داود (دود من دون تشكيل) على علاقة بالجمل. فقطيع الجمال الصغير في العربية يدعى ذود: «الذَّوْدُ: للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر؛ قال أبو منصور: ونحو ذلك حفظته عن العرب، وقيل: من ثلاث إلى خمس عشرة، وقيل: إلى عشرين وفُوَيقَ ذلك، وقيل: ما بين الثلاث إلى الثلاثين» (لسان العرب). والصلة اللفظية بين «دود» و«ذود» لا شك فيها. بالتالي، يمكن لي أن أفترض أن نبوة داود هي نبوة ركاب الجمال. بل يمكن لي أن أفترض أن هذا النبي جمل، كما أفترض أن نجمته (نجمة داود) هي نجمة سهيل اليماني، الذي يدعى بـ«الفحل»، أي الجمل الذكر. وهو ما يعني أن داود التوراة هو سهيل اليماني في نهاية المطاف.

* شاعر فلسطيني